جَماليات

أ. أناهيد بنت عيد السميري

جمادى الآخرة ١٤٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الفهرس

اللقاء الأوّل..... ٤
اللقاء الثّاني..... ٢٢
اللقاء الثّالث..... ٣٧
اللقاء الرّابع..... ٥٥

اللقاء الأوّل

الأحد: ٦ جمادى الآخرة ١٤٤٣

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله أن يجمّل حياتنا بآثار أسمائه وصفاته، وأن يجعلها جميلة بالإيمان، وبالحَياء، وبالشَوق إلى رضا الرحمن.

"الجمال" مفهوم من المفاهيم التي اختلطت على الناس، مفهوم خطير، الواجب تصحيحه وبيانه وهو نشر هذا الجمال.

"الجمال" هذه الكلمة التي قد ظُلمت، مفهوم عظيم خُلقنا على حُبه، وخُلقنا على قَبوله، والرغبة فيه وطلبه.

"الجمال" أحد عطايا الله للخلق؛ لكن حصل لهذا المفهوم ما حصل، واختلط هذا المفهوم كما اختلطت مفاهيم كثيرة في حياة الناس، وقبل أن ندخل في موضوعنا، أود أن أؤكد على مشكلة اختلاط المفاهيم، وانقلاب الموازين، والله -عزَّ وجلَّ- باسميه الجميل والرحمن -كما سيتبين لنا في أول سورة الرحمن- أخبرنا عن الموازين وأهميتها؛ فقبل أن ندخل في تفاصيل الجمال؛ نُؤكد مسألة المفاهيم، وكيف يجب أن تكون على الميزان، لا تختلط

على الإنسان. اختلاط المفاهيم على الإنسان، وفقدان الميزان، سبب عظيم لفقدان الجمال، وفقدان الحياء، وفقدان طعم الحياة الحقيقي.

كيف نضبط الموازين

مسألة الموازين مسألة خطيرة، يجب أن تكون المفاهيم غاية في الوضوح، أما أن تختلط مفاهيمنا وتذهب المقاييس، وكل يوم أحد يعطينا من المقاييس ما يزيد ربْكة العقول...!

العقول مرتبكة، لا يوجد ميزان واضح، ولا توجد مفاهيم واضحة؛ فترتبك العقول، وتختلّ الموازين وتفسد حياة الخلق. لذا سنبدأ بقراءة مطلع سورة الرحمن، ونرى بهذا الاسم الجميل -الذي هو من أعظم أسماء الجمال لله- كيف يجب علينا جميعًا أن نضبط مفاهيمنا ونَوزنها وزنًا:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

تصور هذه الآيات العظيمة في مطلع هذه السورة العظيمة التي سماها بعض أهل العلم "بعروس القرآن" ، "سورة الجمال"، ماذا نلاحظ؟ الشواهد فيها كثيرة على الجمال، وعلى أصول نعم الله -عزَّ وجلَّ- علينا، النعم الدنيوية والأخروية، الله صدّرها باسمه: "الرحمن" الذي هو من أعظم أسماء الجمال، وبدأ -

سبحانه وتعالى- بهذه المسألة التي نؤكد عليها؛ وهي مسألة: "ضبط المفاهيم"، لكي لا تفسد الأرض، ولا يفسد الخلق.

فبدأت بذكر أصل النعم الدينية وأجلّها، وهو: إنعامه -عزَّ وجلَّ- "بالقرآن وتنزيله وتعليمه" ، وفي هذا نسمع ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ نحن نستشهد بسورة الرحمن لمسألة مهمة وهي: "موضوع المفاهيم وضبطها" ، وأن أصل فساد الدنيا أن تختل الموازين، وتختلط المفاهيم؛ فأخبر -عزَّ وجلَّ- أنه علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، وكل هذا من تميِيز الإنسان عن غيره من المخلوقات.

فالإنسان ممَيّز بالبيان؛ بالتعبير عن ما في الضمير، بقدرته على إفهام الغير، قدرته على الفهم والإفهام، فهو يكوّن المفاهيم، فهو يفهم الحقائق، ويضع الموازين، ومن أعظم الأمور التي تحتاج إلى موازين: "موضوع الجمال".

ونلاحظ هذه السورة المباركة تدلنا على أن الله خلقنا في الحقيقة لأمر متصل بالقرآن، نلاحظ ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ لما علمنا البيان جاء القرآن معبرًا عن هذا البيان، جاء القرآن منبع البيان، جاء القرآن أساس البيان. نتعلم من القرآن المفاهيم فنَفهم ونُفهم، وهذا كله على ميزان لا يختل.

انظر إلى هذا الأمر العجيب: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الأمور ليست عبثًا، كل أمر يحيط بنا في هذا الملكوت العظيم المليء بالجمال إنما هو "بحسبان"، يجريان بحساب معلوم مقدّر؛ ولذا يجد الناس اختلاف الفصول والأوقات،

ويعلمون السنون والحساب، هذا النظام الجميل من الجمال، الذي في كل زمن تجد له روحه الخاصة، في الشتاء وفي الصيف وفي الربيع وفي الخريف كلٌّ له روحه، هذا الجمال الذي يكسو الأرض أهم شيء أن نفهم أنه "بحسبان" لكي نتصور أن الواجب علينا ضبط مفاهيمنا، الواجب علينا حساب هذه المفاهيم ومراجعتها الدائمة، وسيأتينا الأصْرح من ذلك.

ثم أخبر -عزَّ وجلَّ- : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ انظر كيف يكون الانقياد؛ انقادوا للرحمن، انقادوا له -سبحانه وتعالى- معترفين بأنه الرب الرحمن الذي امتلأ رحمة -عزَّ وجلَّ- الرحمن على وزن: فعلان، يعني رحمته -سبحانه وتعالى- واسعة.

ثم نسمع هذا الشاهد المهم ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ هذا هو شاهدنا.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ كل شيء يحتاج إلى ميزان، والله -عزَّ وجلَّ- قد وضع الميزان؛ فنفهم كل شيء على هذا الميزان.

وضع الله -عزَّ وجلَّ- ميزان العدل في:

- أرض النفس والبدن.
- في أرضه التي خلقها.
- وفي هذه النفوس التي سواها؛ فهي على العدالة.

هَيْأته النفسية إنما هي هيأة على العدل، ولولا أننا وُضع في دواخلنا الميزان، وهو الفطرة السوية، لما حصلت الفضيلة الإنسانية.

- وضع الله -عزَّ وجلَّ- الميزان حتى في أبداننا، لو لم يكن هناك ميزان لم يكن هذا البدن ولم يبقَ، والله إنها من العجائب!

اليوم بكل سهولة في التطور الطبي تسمع أن المعادن الموجودة في جسم الإنسان لو زاد كذا يحصل كذا ولو نقص كذا يَحصل كذا، كل شيء بميزان!

ثم يأتي الأهم وهي نفوسنا، نعود إلى نفوسنا، حين تكون المفاهيم واضحة ومتزنة يكون كل أمر في نفوسنا متّزن، هنا يظهر كمال النفس). أما إذا فقد الإنسان هذا الميزان فإن نفسُه الضعيفة تجري وراء الأهواء ولا تجد إلا الخراب.

بل الأرض كلها إذا فُقد الميزان الذي أنزله الله، الأرض كلها تكون إلى خراب.

فلننظر إلى أنفسنا، ونرى هل كل مفهوم، هل كل أمر، هل كل قضية قريبة مني وأنا مسؤول في التفكير عنها، هل لها ميزان الحق في داخلي؟ وخاصة مسألة الجمال؛ لأن هذا موضوعنا. هل مثل موضوع الجمال وُضع في داخلنا له ميزان؟ الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الله هو الذي وضع الميزان، فالله الذي وضع الميزان أراد منك أن تَزِن الأمور كما وضعها، الله الذي وضع الميزان وضعه لإقامة نظام الخلق.

وفي سورة الحديد قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾[1] وضعها من أجل أن يقوم العدل في هذه الدنيا، الحق والفضائل إنما تكون بهذا الميزان الذي وضعه الله سبحانه وتعالى.

---

(١) الحديد: ٢٥.

لما وضع الله الميزان ما هو المطلوب منك؟ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أن: تفسيرية، يعني: وضع الميزان لئلا تطغوا في الميزان. والمعنى عظيم؛ أن الله لما أنزل هذا الميزان الحسي عند الخلق، جعلهم يزنون بالميزان، والميزان المعنوي لما فهمنا من هذه الأمور الكونية التي حولنا فجعل لكل شيء ميزانًا، لئلا نَتجاوز الحد في الميزان.

كل مفهوم من المفاهيم تضعه على ميزان الشريعة وتُناقش نفسك فِيه وتقول: هل أنا أفهمه على هذا الميزان؟ أو لست أفهمه على هذا الميزان؟ لأن الأمر لو كان يرجع إلى العقول والآراء لحَصل من الخلل ما الله به عليم، ولفسدت السماوات والأرض.

ثم انظر الآية الثالثة في موضوع الميزان: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ وزنكم للأشياء في فكركم الآن أَقيموه ولا تَبخسوه؛ فَتنقصوا في عقولكم، تنقصوا في سلوككم، تنقصوا في سيركم؛ فتصور كم لهذا الميزان الذي نزن به الحقائق من أهمية! أكيد أننا تصورنا أن الميزان ليس الذي توزن به البضائع، وإن كان هذا نموذجًا ورمزًا للعدل، وكذلك الأمور في تفكيرنا يجب أن توضع في مكانها فلا تختلط الأمور فتذهب العقول بعد ذلك يمنة ويسرة حتى يحصل الإفراط، والتفريط، والجور، والفساد.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ استقيموا في الطريق، ولَازموا الفضيلة، واجعلوا نقطة الاعتدال في جميع الأمور، وفي كل القوى، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ بأن تفرطوا في حد الفضيلة. -موضوع المفاهيم أمر في غاية الأهمية-.

بدأنا من عروس القرآن؛ من سورة الرحمن، من اسم الرحمن الذي هو من أعظم أسماء الجمال لله، بدأنا من هنا؛ لكي نتفق على أمر مهم، وهو: **أننا بحاجة شديدة إلى ضبط مفاهيمنا**، ومن المفاهيم التي يجب أن نضبطها مفهوم "الجمال"، واستدللنا -بما في السورة من:

- إشارة إلى الميزان.
- وإلى أمرنا ألا نطغى بهذا الميزان.
- وأن نقيم الوزن بالقسط.

على أنه يجب علينا، وجوبًا حتميًا أن نراجع دائمًا مفاهيمنا حول هذه الأمور التي تدور في الحياة؛ لأن الإنسان إذا لم يراجع مفاهيمه ويضعها على الميزان لسار بهواه!

مثال لتصور الميزان

نضرب مثالًا لنتصور الميزان وبعد ذلك -إن شاء الله- يفتح الله لنا في موضوع "الجمال" وأهمية وزنه بالميزان.

لو أتينا للقضية التي نسمع عنها ويروج لها، والتي هي من أعظم الأمثلة اليوم على اختلال الميزان، وكيف أن الإنسان إذا لم يضع الميزان الإلهي ستشرد به الأهواء، ستتجارى به الأهواء، ولن يجد له سدًا أبدًا يمنع هذا التَجَاري.

الموضوع هو: موضوع المنازعة حول مفهوم الجنس البشري، أنت تعرف بعقلك وبميزانك أن الله خلق الذكر والأنثى، تفهم هذا، لكن لما تَجارت بالخلق الأهواء؛ الشيطان احتنكهم فجرّهم إلى رذائل الأفكار، وجدت أنهم يشيعون في عالمهم -وأنت تعرف اليوم عندما نقول: (يشيعون في عالمهم) غدًا تجد هذه الفكرة في مجتمعنا-، وهي الآن هنا مثال على المفاهيم والميزان.

عندهم الطفل الصغير يمكن أن يجد في نفسه ميول إلى الأنثوية وهو ذكر! فيُعطوه مجموعة أدوية ليتحول إلى أن يكون أنثى. ومثله أنثى تستطيع أن تأخذ علاج لتستطيع أن تكون ذكرًا! ويمكن أن يكون ذكرًا لكنه يتشبه بالأنثى ويضع من المساحيق ما يجعله يجمع بين الجنسين، تجد في وجهه لحية ولباسه لباس الأنثى، وهذا كله إن حماك الله ولم تره؛ فإن أبناءنا وشبابنا يسمعونه ويرونه للأسف الشديد، ويُروّج له بطريقة ضاغطة. مثل هذه الأمور نتكلم عنها بمثابة مثال على الميزان؛ لنتصور إلى أين يصل الناس إذا فقدوا ميزانهم.

في عقولنا: هل هناك أثبت من أن يكون الذكر ذكرًا والأنثى أنثى في الأمور الدنيوية؟! لكن حتى هذا الثابت قد لا يكون ثابتًا عند من جرّته الشياطين فَأهانته ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾[1] ظواهر عجيبة والسبب هو: فقدان الميزان.

من هذا المنطلق: كان الواجب علينا أننا في كل فترة من الزمان نجتمع سويًا اجتماع مَن يريد النجاة؛ لإنقاذ نفسه وإنقاذ مفاهيمه، نُراجع هذه المفاهيم،

---

(١) الحج: ١٨.

ونضعها على الميزان، ونُعيد تثبيت أنفسنا، اللهم ثبتنا على الحق، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الحق واليقين، يا رحمن يا رحيم ادفع عنا شر شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا!

كان الواجب أن نجتمع في كل مرة ونعيد على أنفسنا وزن بعض المفاهيم من أجل ألا تجرنا الشياطين ونبتعد عن الحق ونحن لا نشعر.

نحن نعلم أن للشيطان خُطوات يأخذ بها الإنسان، فهذا الكلام الذي مضى في هذه النصف ساعة، هذا هو المراد به؛ وهو التأكيد على أننا لا بد أن نضع المفاهيم التي نفهم بها الحياة في الميزان دائمًا ونُراجعها ونتأكد أننا في المكان الصحيح، وأن أفكارنا في المكان الصحيح، لم تختلط علينا ولم يحصل تأثُر بما يدور حولنا.

نبدأ في موضوعنا وهو:

موضوع "الجمال"

هذا الموضوع النساء خاصةً لهم شعور تجاهه، هذا شيء من الخصوصية، طلب النساء الجمال وحبهن للجمال وكون النساء رمزًا للجمال، هكذا خلق الله - عزَّ وجلَّ- الجنسين الذكر والأنثى، تكون المرأة هي رمز الجمال وهي من تُنشّأ في الحلية تكميلًا لجمالها، لكن هذا مفهوم ضيق جدًا للجمال، نود في هذه الأيام أن نُوسعه توسيعًا يفيدنا في حياتنا، وفي انشراح صدورنا، وفي همتنا؛ بحيث ننشط لهذا الجمال.

الإنسان في طبيعته يحب الجمال ويرغب في الجمال، لكن ربما قل الالتفات للجمال الحقيقي، ومع كثرة ما حولنا من زوابع ربما اختلط على الناس مفهوم الجمال، وقل التركيز على الجمال الذي هو في الحقيقة جمال، وإن شاء الله نبذل جهودنا كل يوم نُركّز على وجه من وجوه الجمال يجب أن ننتبه إليه، لكن أكيد أننا لن نستطيع أن نجمع كل وجوه الجمال التي خلقها الله، والتي واجب علينا أن نلحظها.

نبدأ أولًا بأعظم ما نتكلم فيه عن الجمال، وهو:

الله الجميل

الله الجميل الذي لا يمكن للسان أن يعبر عن جماله وكماله -سبحانه وتعالى- ولو اجتمعت الألسنة كلها في التعبير عن جماله وكماله ومهما تكلّم الخلق في هذا الجمال وشرحوه، فإن هذا الجمال فوق أن تُدركه العقول.

جَماله -عزَّ وجلَّ- إذا انكشفت عن الإنسان حُجب حُب الدنيا وحُجب المعاصي، وحُجب المادية، وآمن بالغيب؛ فإنه يستطيع أن يَذوقه فيما يفهم بأنه (برد اليقين)، اليقين هذا له برد يعيش الإنسان في لحظات جمال لا توصف، الله الجميل الذي من جماله سبحانه وتعالى:

- خلق كل أمر جميل في الدنيا.
- ومن جماله -عزَّ وجلَّ- جعل لهؤلاء الخلق الضعفاء محبة للجَمَال.
- ومن جماله -عزَّ وجلَّ- عرّفنا بَجَماله عزَّ وجلَّ.

ونلاحظ أن التوحيد الذي أمرنا الله به في أصله مبني على شعورنا بهذا الجَمَال، ومن ثم وقوع المحبة له عزَّ وجلَّ.

انظر لهذه الكلمة العظيمة، كلمة (لا إله إلا الله) إذا قالها الإنسان مستشعرًا دلالتها اللطيفة؛ سيذوق صفات الكمال والجلال والجمال لله عزَّ وجلَّ وهي تقوم على اسم عظيم من أسماء الله، وهو "اسم الله واسم الإله"، يعني لا إله لي إلا الله، إلهي هو الله وحده. فانظر إلى كلمة (إله) وكيف أصلها الإله، وانظر إلى كلمة (إله) ما هو أصلها في اللغة، فتجد أن الإله في اللغة إنما يدور حول: (المألوه، المحبوب، وقيل: إِله يَألهه إذا تحير)؛ لأن العقول تألهه في عظمته، وأصلها: وله، يوله، ولهًا. وهذه الكلمات كلها تدور حول الشوق في القلب، كيف يكون الشوق في القلب ويأخذ مَجامع الوجدان إلى درجة الانقياد والخضوع.

فالـ(وَله) إنما يأتي من:

- معرفة الله
- ومعرفة كماله.
- وامتلاء القلب بِحبه.

فالمؤمن عندما يقول: (لا إله إلا الله) يعبر عما يجده في قلبه من تعلق بربه فهو يقول:

- لا محبوب لي إلا الله.
- ولا مرغوب إلا الله.

- ولا مقصد إلا الله.
- ولا أفر إلا إلى الله.
- أنا متعلق بالله رغبةً ورهبةً وشوقًا ومحبة.

هذه هي الشهادة العظيمة والخطيرة، وتأتي في الميزان أثقل ما يكون، هذه المعاني لا يمكن حدّها بعبارة ولا حصرها بإشارة.

قد قال ابن القيم رحمه الله: "إن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدّر، ولا نسبة لسائر المحابّ إليها، وهي حقيقة لا إله إلا الله!" ثم يقول في سياق كلامه: "فلو بطلت مسألة المحبة، لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتَعطلت منازل السير إلى الله. فإنها" منزلة المحبة" روح كل مقام ومنزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه." ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقول: "ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص "

المحبة حقيقة الإخلاص لأن الإنسان يقول: أنا لا أريد أن يرى عملي أحد، ولا أحب أن ينظر لعملي أحد، أنا أحبك أنت يا رب العالمين ولك أعمل، أنا أحب أن تنظر أنت إلى عملي. "بل هي نفس الإسلام. فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله. فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله. فإن "الإله" هو الذي يأْلهه العباد حبًا وذلًا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له"

فالمحبة حقيقة العبودية، وهنا يجد الإنسان نفسه أمام مفهوم عظيم من مفاهيم الدين يلخّص بهذه المحبة.

١. شهادة لا إله إلا الله مبناها على المحبة.

٢. والمحبة مبناها على المعرفة.

٣. معرفة كماله وجماله، عزَّ وجلَّ.

٤. معرفة ما له -عزَّ وجلَّ- من صفات تجعل الإنسان لا بد أن يكون غاية في محبته، وكما هو متبين.

هذا كله مبني على معرفته المعرفة الحق.

فلما فهمنا هذا نرى كيف عرّفنا الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه بجماله حتى نصل إلى هذا الأمر الذي هو (تأليه القلوب)، الذي هو السبب الحقيقي في الإيمان، وهو السبب الذي يثبّت الإنسان، أن يعرف الإنسان مَن هو رب العالمين.

ولننظر إلى سورة مثل سورة فاطر، كيف تنقل لنا هذه السورة صورًا من الجمال في أفعال الله فتُعرفنا بالله. ننظر إلى الآيات ٢٧ و٢٨ في سورة فاطر، هذه صورة من الصور الموجودة في الأرض تدلنا على جماله عزَّ وجلَّ؛ لأن الفعل يدل على الفاعل، فجمال الرب -سبحانه وتعالى- يظهر في أفعاله:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

انظر إلى هذا الذي لو لاحظناه لحصلت البهجة في قلوبنا ورأينا الجمال، ثم إنّا مأمورون بأن نرى هذا الجمال لنُؤمن بربنا الجميل الذي جعل فينا ذوق الجمال، وجعل الأرض غاية في الجمال، ومخلوقاته غاية في الجمال. فذوق الجمال الذي في نفوسنا وجمال الأشياء التي في الأرض لو التقيا؛ التقى قلبًا واعيًا يذوق الجمال، ورأى ما في الأرض من جمال يجب أن يصل إلى خشية الله وهذه الآيات تقول لنا -ونلاحظ أنها ابتدأت بقوله تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، يعني انظر بعينك التي في رأسك، وانظر بعينك التي في قلبك، وانظر لهذا الجمال!!

ألست أيها الإنسان تجد أن من أجمل اللحظات عندما تعصُر هذه السحب الثقال ماءها بألطف ما يكون على الأرض؟ أليس هذا من مناظر الجمال التي تدهش الإنسان؟ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ ثم انظر إلى الثمرات المختلفة الألوان، والله إن هذا من أعجب الأشياء التي تأتي بصورة الجمال.

لماذا يقول لنا الله -عزَّ وجلَّ- إن ألوانها مختلفة؟ لأن هذه الألوان المختلفة في ذوقك -أيها الإنسان المخلوق على حب الجمال- لها أثرها في انشراح صدرك وشعورك بالجمال، الله أخرج هذه الثمرات ليس مثل صناعة الخلق، -الخلق عندما يصنعون ترى أنهم يتعبون حتى يخرجوا أشياء مبهجة وبهجتها تذهب دائمًا-.

لكن فلنفكر: هل ذهبت في ذات يوم بهجة المطر اللطيف عندما ينزل على الأرض؟ هل ذهب في ذات يوم جمال الثمرات المختلفة الأوان؟ ليس المقصد فقط أن تأكل الثمرة وتستفيد منها، هذا أمر موجود، لكن فوق الاستفادة

يوجد هذا الانبهار بالجمال. ألوان؛ أخضر وأحمر وأصفر، كل هذا يدلك على أن الله الجميل، جمّل لك هذا الخارج من الأرض؛ فأصبح ذا ألوان في شكله وأنواعه وأصنافه؛ حلو ومر ومتوسط وحامض، وذا ألوان يعني كالمعنى الأول أنه أحمر وأصفر. شيء عجيب! أليس إن كان الأمر أن يتغذى البدن لكان الطعام لونًا واحدًا وشكلًا واحدًا وفيه كل شيء؟! ولكن ليس المقصد فقط أن يتغذى البدن، وإنما لترى هذا الجمال الذي تجده في هذه المزروعات، في هذه الألوان، في هذه العطايا.

ثم ننظر كيف أنه -عزَّ وجلَّ- أخبرنا أيضًا أن الجمال ليس فقط في هذه الخارجة من الأرض، بل في الجبال هذه التي تملأ عينك وهي في عظمتها -وكون الإنسان أمام الجبل شيء حقير- فهي مع عظمتها وجمالها فهي ذات ألوان، وطُرُقها سبحان الله ذات ألوان، طرائق بيض، وفيها طرائق صفر، وطرائق حُمر، وفيها غرابيب سود، يعني: طرائق يشبه لونها لون الغراب من السواد، الجبل يكون بلون والطرائق التي بين الجبال يكون لها ألوان أخرى، فتَنتفع أنت أيها الإنسان من اختلاف الألوان في الجمال وتنتفع في كونك تستدل أن هذا من الطرائق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ﴾ سبحان الله، كل هذه فيها اختلاف الألوان التي يتبعها اختلاف الأوصاف والأصوات والهيئات، وما هو منها مرئي بالأبصار وما هو منها مشهود للنظار، أو ما هو خفي ويكون هذا هو حقيقة الجمال.

في الإنسان خاصة نجد أن حقيقة الجمال مخفيّة في داخله، -لكن يأتينا إن شاء الله الكلام عن الإنسان في وقته-. نحن الآن نتكلم عن ربنا الجميل كيف أعلمنا بجماله، وكيف أرشدنا إلى تأليهه ومحبته وتعظيمه، إنها بهذه الطريقة العظيمة، بإظهار الجمال في كل شيء حولنا، بحيث أن نفوسنا التي خلقت على ذوق الجمال تنقاد إلى ربها الجميل مباشرة.

ونلاحظ كيف خُتمت الآيات التي عرضت هذا الجمال، وعرضت هذه الألوان، قال الله -عزَّ وجلَّ- : ﴿كَذلِكَ﴾ يعني مثل هذا الاختلاف في جمال الأشياء كاختلاف ألوان الثمار والجبال والدواب والأنعام، كهذا الاختلاف، اختلاف الخلق في خشية الله، و﴿إِنَّما﴾ حقًا ﴿يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ مَن يخشى الله حقًا من العباد؟ العلماء، بعظمته وجلاله، العالمون بجماله وكماله، وما يليق من صفاته وأفعاله الجميلة؛ لأن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى، كان أخشى منه تعالى. فهؤلاء أهل الخشية الحقيقية؛ لأن من لم يتصور عظمته لم يمكنه خشيته، ومن تجلى في قلبه معرفة الله، ورأى آثار جمال الله وكماله، خشيه حق الخشية، بهذا يرتقي الإنسان في مراتب الدين فيصل مرتبة الإحسان التي فيها يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن الإنسان هو يراه يعلم أن الله يراه.

ثم أخبر -عزَّ وجلَّ- في ختام الآية بخبر عجيب: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ دلالة على أن مما يكمّل شعورنا بجماله أنه عزيز، عزَّ وجلَّ، غني عن الخلق، وهذا من الأمور التي يحبّها الخلق ويجدونها صفة جمال في الخلق، فالخلق يحبون من

الخلق مَن كان عزيزًا، يرون جمال في العزة، ويسْتقبحون أن يكون الإنسان ضعيفًا في عزته، فيخبرنا -عزَّ وجلَّ- بهذا الجمال.

لذلك لو أردنا أن نتتبع ما لله -عزَّ وجلَّ- من جمال في أسمائه وصفاته لحَملنا ذلك على مدارسة جميع الأخبار التي أتت في القرآن عن الله؛ لأن جماله ليس فقط كما نتصور في الصفات التي تدل على رحمته فقط، -هنا الجمال يظهر بوضوح- لكن كل صفات الله تدل على الجمال. أليست العزة من صفات الجمال؟ والإنسان يحب العزة ويحب من يتصف بالعزة، والله له العزة الكاملة في الاستغناء عن خلقه. ثم من أقرب ما يكون مع هذه العزة من صفات، أنه مع عزته غفور، مع استغنائه غفور، يقبل التوب ممن تاب، ويعامل الخلق بمحو الذنوب والآثام، فمن معاني عزّته -عزَّ وجلَّ- أنه مع ذلك غفور، ومن العزة مغفرته.

من قوانين الناس أن الذي يعفو يجب أن يكون ذا قدرة، وكما نقول دائمًا: العفو عند المقدرة، العفو لا يكون حسن ممدوح إلا للمتمكن أما غير المتمكن فلا يمدح على عفوه.

فالله من جماله وجلاله وإكرامه عزيز، وهو غفور مع ذلك؛ فما أطيب هذه الأخبار عن ربنا الجميل الذي جعل في قلوبنا حُب الجَمال، ليكون هذا سببًا لإِقبالنا عليه وتأْليهنا له.

اللهم زدنا إيمانًا وتقوى، واجعل في قلوبنا ميزان الحق نزن به كل أمر يا رب العالمين. اللهم ثبتنا على الحق واشرح صدورنا وصدور ذرياتنا وشباب المسلمين

جميعًا له. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، وعاملنا يا رب العالمين بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا التي علمتنا إياها، عاملنا باسمك الغفور الرحيم التواب العفو، عاملنا يا رب العالمين بما أنت أهل له، وليس بما نحن أهل له يا رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء الثّاني

الإثنين: ٧ جمادى الآخرة ١٤٤٣

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، نبدأ مستعينين بالله، نُكمل هذا الموضوع الشيّق، وهو الكلام عن الجمال، والكلام عن الجمال كلام جميل، وقد مر معنا أمس أن الله -عزَّ وجلَّ- لمّا خلق الإنسان وعلّمه البيان وقد مَن علينا بإنزال القرآن، جعل لكل شيء ميزانًا.

ومن الأمور التي لها ميزان "الجمال" فهو ليس متروكًا للأهواء، بل هو مضبوط في الأذواق بخلق الله -عزَّ وجلَّ- للخلق بفطرة سوية، وبخلق الله -عزَّ وجلَّ- في الأرض هذه الآيات الكونية الجميلة التي تحمل جمالًا.

فَميزان الجمال ليس متروكًا للأهواء.

ميزان الجمال إنما هو مضبوط في الخلق بالفطرة من جهة، ومن جهة أخرى بما خلق الله -عزَّ وجلَّ- في الكون من جمال.

وعندما نقول: (هذا جمال) فما هو الشيء الذي أستطيع أن أقول عنه: (إنه جميل)؟

أو ما هو الشيء الذي يذوق الجمال؟

وهنا نكتشف خِلقة عظيمة خلقنا الله عليها في داخل نفوسنا التي هي سر من أسرار الله، في داخل أرواحنا التي هي من أمر الله، أن أرواحنا ونفوسنا فيها أداة تتذوق الجمال.

هل هو موضوع مهم أن نتذوق الجمال؟ هل هو موضع يستحق أن نُفرده بالنقاش؟ نعم، هو موضوع مهم. ولِإفساد هذا الجمال تعاون شياطين الإنس والجن؛ ليصل الإنسان إلى ذوق فاسد، تعاونوا لأجل أن يخرج الإنسان في نهاية المطاف وهو يكره الجمال الحقيقي، يكره الجمال ويحب القبيح والقبائح، وهذا الأمر الإنسان لا يفهمه إلا حين:

- يعرف عداوة الشيطان.
- ولا يفهمه إلا عندما تأتيه أمثلة هو يشعر بها في حياته، ويراها ويرى السوء الذي فيها.
- ويرى كيف أن الإنسان قد يفقد ذوقه ويقبل القبيح، ويكره الجميل، والواقع مليء بمثل هذه الشواهد.

وهنا نتدارس في مبدأ الكلام، ونؤكد على هذا الأمر، وعلى أن موضوع مناقشة الجَمال مُهم، وإبقاء الذوق صحيحًا موضوع مهم.

عداوة الشيطان و إفساد ميزان الجمال

نختار آية تُبين لنا خطورة هذا الأمر وعداوة الشيطان في هذا الأمر، نرى في سورة النساء الآية التاسعة عشر بعد المئة، ونرى فيها كيف كان فعل الشيطان مع الإنسان...

نبدأ بالآية التي قبلها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾

نعوذ بالله أن نتخذ الشيطان وليًا من دونه! ونلاحظ أن الشيطان يتوعّد أن يكون له نصيب مفروض، هنا الخبر إشارة إلى توعّد الشيطان لابن آدم بعد أن فُضِّل ابن آدم عليه؛ فيخاطب الله بكل سوء أدب، بكل طريقة قبيحة يمكن أن يسمعها الإنسان، طريقة قبيحة يستقبحها المؤمن الذي سَلِم قلبه من حب القبائح، فيقول لرب العالمين -لمّا أبعده عن رحمته- : لأتخذن من عبادك الذين أبعدتني بسببهم، يعني لأجعلنّ لي منهم نصيبًا، حظًا مقطوعًا، ماذا سيفعل لهؤلاء؟ سيفسد عليهم فطرهم بحيث إن الجميل ينقلب عندهم قبيحًا، والقبيح ينقلب عندهم جميلًا.

وإلا فأي عاقل هذا الذي يرى أن البقر تستحق أن تُعبد؟! تستحق أن يُقبل عليها؟ أي عاقل هذا الذي يظن أن في السجود للبَقر جمال، ودَعاءها فيه بهاء؟! لكن الشيطان هو الذي يفسد ذوق الإنسان، يفسد ميزان الجمال.

فالشيطان هنا يبين أنه في غاية السعي لِإفقادنا هذا الجمال، فَأقسم أنه يضلنا عن الهدى، ويُمنينا الأماني الباطلة، ومن أعظم الأماني التي يُمنّي الشيطان بها الإنسان: الحرص والأمل، كما في الحديث: «يهرمُ ابنُ آدمَ، ويبقَى معه اثنتانَ: الحرصُ والأملُ»[1]

الأمل في حياة أطول.

انظر كيف يفكر هذا الإنسان وينسى أمر مهم يتصل بالجَمال؛ هذا الإنسان الذي سيطول عمره عن غيره، أي جمال في طول العمر وفقدان القُوى؟! أي جمال هذا في الهرم؟! أي جمال هذا في أن يَدفن الإنسان أحبابه ويبقى يُعزّى فِيهم؟! أي جَمَال في حياة فيها من المتاعب ما فيها؟! أي جمال هذا في الحرص والجمع والتَّخبئة، أي جمال؟ ونحن نلحظ أن الحرص والأمل يستلزم أكثر الأخلاق القبيحة؛ لأن الحرص يستلزم ركوب أهوال الدنيا، وأهوال الدين، فالإنسان حين يشتد حرصه على الشيء قد لا يقدر على تحصيله إلا بمعصية الله وإيذاء الخلق، وإذا طال أمله نسي الآخرة، وصار غريقًا في الدنيا، وأي جمال في الدنيا مع طول الحياة؟ الشوق إلى الله في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، يعطي للحياة جَمال، فتكون الأيام والليالي سببًا لِزيادة القُرب من الله، فَيتصور

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢١).

الإنسان، وهو محسن الظن بالله، راغبًا فيما عند الله، جمال المنازل العليا التي يقبل عليها.

نعود إلى الآية ونرى كيف يتوعّد الشيطان بأن يَضل الإنسان، وبأن يمنيه أن يأمره فيقطِّع ويعلِّم البحائر والسوائب، ويشوِّه هذه الخلقة قربى إلى الشيطان، هذا الآن في البهائم، ثم يأتي الأمر العام:

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾ الشيطان يتوعد ويقسم على ذلك؛ ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ وتغيير خلق الله هنا يشمل تغيير ما في النفس من فطرة سوية، فتنقلب المقاييس وتنقلب الأمور، وما في البدن أيضًا، وقد قال رسول الله: «لَعَنَ اللَّهُ الواشِماتِ والمُسْتَوْشِماتِ، والنَّمِصَاتِ والمُتَنَمِّصاتِ، والمُتَفَلِّجاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّراتِ خَلْقَ اللَّهِ عزّ وجلّ»[1]

كل هذا من تغيير خلق الله.

وانظر في تغيير وِجهة وصورة أو صفة خلق الله مثل الوشم، ومثاله اللواط والسحاق، والعياذ بالله، هذا كله من تغيير خِلقة الله، وعبادة الشمس والقمر، وعبادة البقر، كل هذا من تغيير خلق الله، فَينقلب الشيء القبيح فيُصبح شيئًا جميلًا!

لذا يقول الله -عزَّ وجلَّ- : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ أنهم الفائزون وأنهم الجميلون وأنهم المتحضرون.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦).

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وباطلًا وضلالًا، ما يعدهم الشيطان إلا ضرًا وقبحًا.

لكن المشكلة أن فساد الأذواق جعل الناس يقبلون مثل هذه الصور أو يفعلونها. من أكثر المسائل قبحًا ما يمكن أن تراه من تشبه الرجال بالنساء، ومن تشبه النساء بالرجال، فيفقد الإنسان الجمال الذي جعله الله في رجولة الرجل وفُتوته، وفي أنوثة المرأة ورِقتها، وهذا كله بسبب العدو الذي أقسم عدة إِقسامات، مُجملها وملخصها: أن يصل الناس في طريق حياتهم إلى استقباح الحسن واستحسان القبيح. فلا بد من ميزان نرد به الأمور إلى أصلها، ولا بد من ذوق صحيح نضع كل شيء في مكانه، ولا بد من علم يحفظنا بأمر الله من تلاعب الشيطان بِأذواقنا وأذواق من نربي.

بهذه الكلمات التي نريد أن نتكلمها عن الجمال، وعن أهمية هذا الموضوع، نود أن نؤكد أن استحسان القبيح مصيبة على الدين وعلى الاستقامة، مصيبة على المربين والمربيات، مصيبة على الأسر. فلا يستهان أبدًا بمثل هذا الموضوع، بل يجب أن يقبَّح القبيح، يجب أن يبقى القبيح قبيحًا والحسن حسنًا، الجميل جميلًا وجماله يشهد به الجميع، والقبيح قبيحًا وقبحه يشهد به الجميع، وإلا سنرى المجتمع في انحدار وفي خطر عظيم، والمرأة أكثر فرد في المجتمع عليها مسؤولية إبقاء الذوق صحيحًا، ومبدأ إبقاء الذوق صحيحًا ما بدأناه أمس في الكلام عن معرفة الله بصفات الجمال، وآثار معرفة الله بصفات الجمال. كما تطرقنا أمس في النقاش أننا نجد في كتاب الله أوامر بأن نرى ونتأمل فيما خلق الله، فنرى جمال ما خلق الله، يعني نَملأ قدرتنا على التذوق بالأشياء الجميلة

التي خلقها رب العالمين، بطريقة بسيطة؛ لأن ربنا أمرنا أن نرى ما أخرج لنا من الأرض من نباتات وألوان، وأمرنا -كما في آية فاطر التي ناقشناها أمس- وأمرنا أن ننظر إلى الجبال وألوانها، كل هذا يجعل في قلوبنا ذوقًا للجمال، ويجعلنا نرى جميل صُنع الله الدال على جمال الله.

دلالة النظر إلى الحدائق ذات البهجة

نرى في سورة النمل كيف أن الله -عزَّ وجلَّ- يدلنا على النظر إلى الحدائق ذات البهجة لنعرف مَن هو الله الذي يجب أن يُحَب بسبب جماله سبحانه وتعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[1]

سبحان الله! هذا من الأدلة العظيمة على استحقاق الله للمَحبة والتعظيم.

ننظر إلى الأفعال التي ذكرها رب العالمين في هذه الآية في سورة النمل:

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ يعني أنتم تذوقون جمالها؛ بساتين ذات حُسن ورونق يُبْهج النُّظار؛ لأن الله خلق في النفوس أنها تبتهج بالجمال، فهذه حدائق وبساتين فيها نخل وعنب، وفيها ما فيها من أنواع لهذه المخلوقات وألوان، كلها قبل أن تذوقها ويطيب لك طعمها، كلها تملأ الخاطر بهجة بسبب حُسن منظرها، ذات بهجة الناظر يبتهج بها، سبحان الله هذه الحدائق ليست فقط إشباعًا للبدن، وإنما قبل أن تكون إشباعًا للبدن

---

(١) النمل: ٦٠.

تكون إشباعًا لهذه الروح التي تحب الجمال، فهي مبهجة لها، والله جعلها هنا علامة ودلالة على أنه الإله الحق، المستحق للمحبة والتعظيم، ونحن مهما فعلنا لنخرج هذه الحدائق ذات بهجة ما استطعنا؛ لأن أحدنا لو قدر على أن يضع البذرة ما استطاع أن يخرج الثمرة، فالله هو المختص بهذا الإنعام، وهو -عزَّ وجلَّ- المختص بهذا العطاء المبهج. هذا كله يؤكد لنا ما نحن سائرون فيه، أن الله -عزَّ وجلَّ- خلق في داخلنا ذوق الجمال وجعل حولنا مخلوقات جميلة ذات ألوان بَهيجة؛ كل هذا لنتذوق الجمال. فإذا كان هذا حال الجمال وهذا ميزانه فلنملأ نفوسنا بالنظر إلى الأمور الجميلة التي خلقها رب العالمين، والمطلوب منا أن نَتذوق الجمال في مخلوقات الله، هذا الأمر سيكون له أثران:

الأثر الأول: هو أن نعرف الله الجميل بآثار هذه الصفة في الأرض؛ الله جميل سبحانه وتعالى، والله -عزَّ وجلَّ- له صفات الجمال كما أن له صفات الجلال، وآثار هذه الصفات موجودة في الأرض، فإذا نظرت إلى ما خلق الله رأيت الجمال، واستدلَلت به على الله، هذا من جهة.

الأثر الثاني: صحة تذوقك، كلما نظرت إلى الجمال الذي خلقه الله، وزدت إيمانًا بالله، سيكون أثر هذا صحة تذوقك للأمور. تحافظ على ذائقتك الجمالية، كيف تذوق الجمال، بحيث يبقى القبيح عندك قبيحًا والجميل جميلًا. فحين تنظر لشروق الشمس، ولو نظرت له ألف مرة، سيبقى شروقها مدهشًا، جميلًا في غاية الجمال، ولو نظرت إلى غروبها سيكون الأمر مثل هذا، ولو نظرت إلى السحاب وهو يسير، ولو كنت تَرينه في كل يوم؛ فسترى فيه جمالًا وفي سيره جَمَالًا، وهكذا لا بد أن يكون هذا الجزء من التفكر في مخلوقات الله

يكون آخذًا حظًا كبيرًا من فكرنا؛ لتبقى في داخلنا ذوقة الجمال معتدلة وصحيحة، من أجل ألا تمرض ذَوقة الجمال. فحينما تنظر واقعيًا أو ترى في صور أحدًا يلتقط صورة لشيء من مخلوقات الله، فترى أرضًا لها لون ثم ترى في الأفق سماء لها لون، ويتصلَان في نقطة الأفق، فترى جمالًا لا شذوذ فيه، ترى جمالًا لا قبح فيه، بل ترى في كل شيء مخلوق آثار جمال الله -عزَّ وجلَّ-، هذا لو كانت العين والروح لها ذائقة سليمة.

عطب ذائقة الجمال

المشكلة حين تمرض ذائقة الجمال، وهذا أكثر ما يهمنا في هذه المناقشة؛ أن تعطب ذائقة الجَمال فلا نعرف الجمال. إذا اتفقنا على هذا الأمر ننتقل الآن إلى شيء من آثار جمال الله في خِلقة الإنسان، وهذا من أهم الأمور التي يجب أن نوجّه أنفسنا للتأمل فيها، وهو موضوع يطول نقاشه لكن نأخذ ما يتيسر لنا منه.

وهنا نبدأ بالنظر إلى واقعنا، نريد أن ننظر إلى الجمال الذي جعله الله في خِلقة هذا الإنسان. عندما تنظر في الواقع وتتذكر أحبابك الذين تحبهم، واقع في قلبك حب لهم، وقبول لهم، واستحسان لهم، تذكر هل أنت تنظر لأحبابك هؤلاء بأشكالهم الخارجية؟ هل محبتك واستحسانك لهم بشكلهم الخارجي، أم -كما نعبر- بما يحملون من روح في داخلهم تظهر في أفعالهم وكلامهم!! هل أنت تجد أن جمال صورة أحبابك الخارجية هو الذي دفعك لبقاء هذا الحب؟ أم أن سرًا في داخلهم تلمسته وشعرت به، هو الذي يبقى مُنطبعًا في الأذهان.

هل عندما نجتمع سويًا كعائلة أو كأصحاب أو كفريق عمل في عمل معين، هل يؤثر عليَّ صور هؤلاء الخارجية قدر ما تؤثر عليَّ أرواحهم الجميلة، أو بالعكس، أرواحهم القبيحة؟ نحن نتكلم عن أحبابنا لا نتكلم عمن نَنبذهم، من المؤكد أن الجواب: إن الأصل في ذكرى أحبائنا؛ كانوا معنا أو ذهبوا عنا، أحياء كانوا أو أمواتًا، ما تبقّى إلا آثار أرواحهم وجمالها؛ حتى أن جَمال أرواحهم يُعطي لصورهم الخارجية بهاءً وجمالًا. وهذا من أسرار خلقة الله للإنسان؛ أن خلق الله -عزَّ وجلَّ- للإنسان جمال روحه يغلب جمال ظاهره، فحين يطلب الإنسان الجمال، وبالذات المرأة يقال لها: أما جمال البدن فلا أحد يخاصمك في طلبه، لكن اطلبيه في الحدود التي شرع الله وأذن الله، واطلبيه وأنتِ متأكدة أن هذه الصورة الخارجية ليست هي التي تُضفي عليك جمالًا حقيقيًا لمن اقترب منك ولمن عاشرك، إن الذي يضفي عليك جمالًا حقيقيًا هو بقاؤك أنثى رقيقة في داخلك، أنثى قد امتلأت رأفة ورحمة بالناس، وحبًا وعطاءً. أنوثة المرأة هذه نعمة عظيمة تجمِّل هذه الأنوثة ظاهر البدن وتجمِّل الروح؛ لأنه مَن أَحن من المرأة على الأبناء؟ مَن أحن من المرأة على المحتاجين والفقراء؟ مَن في المجتمع مثال للحنان غير المرأة السَّليمة لذوقها؟ المرأة مثال الحنان، كل هذا حين تفسد الأذواق، يريدون أن يجعلوه عيبًا!

وهو والله ميزة؛ أن تكون المرأة حنونة ممتلئة أنوثة ونعومة، وتكون هي التي تُضفي على المجالس خصوصية بكلامها الطيب الناعم وتكون شجاعة امتلأت قِيَمًا، وامتلأت رغبة في نشر هذه القيم، لما ترى من جمال القيم. فالمرأة جميلة وتُحب الجمال، وتُحب نشر الجمال، هذه المرأة الجميلة التي تحب الجمال والتي

هي في غاية الرقة، عندما تسمع كلمة قبيحة من ابن أو من أخ أو أخت لها، أو من أي أحد تجد أن الدماء في وجهها تكاد تنفجر، خصوصًا لو كانت من الكلمات القبيحة التي تخدش الحياء، تجد أنها امتلأت حياء، واستحت، طأطأت رأسها، فهي تتجمل بالحياء، ترى هذا الحياء يُضفي عليها بهاء، لكن هذا لا يراه إلا من صحَّ ذوقه؛ لكن الذي يفسد ذَوقه ما أصعب التعامل معه، الذي يفسد ذوقه يرى نعومة المرأة، ويرى حياء المرأة، ويرى ما تستحسن المرأة من الكلام الحسن والقيم الحسنة، وما تستقبح من القيم القبيحة ومن الكلام القبيح، -وهي ليست هناك قيم قبيحة لكن الناس يجعلون للقبيح قيمة- ، يرى أن استقباحها للقبيح واستحسانها للحسن عيبًا، مثل هؤلاء يستقبحون على المرأة رقتها ونعومتها وأنوثتها وحيائها، يستقبحون عليها الجمال؛ لأنهم دخلوا فيما دعاهم الشيطان إليه من تغيير خلق الله. فترى هؤلاء يبثون دَعواهم في كل مكان، يريدون من النساء العفيفات الطاهرات اللاتي يغضضن بَصرهن أن يدخلوا أبواب من الفحشاء والمنكر، ويُشعرونهن أن هذا الأمر لا يستلزم منك الحياء، وكونك حييه هذا يدل على ضعفك. يُشعرونهن أن الجمال الذي اكتسبنه من حَيائهن ومن أدبهن ومن قيمهن العليا أن هذا ضعف وأنه جُبن، وأن هذا ليس سمت المرأة المعاصرة!! فيبدأ هذا الجمال في الانطفاء، يبدأ جمال الروح في الذهاب إذا حصل واستجابت المرأة لهذه الدعاوى، فتصور كيف تُعَوض جمال الروح الذي فقدته؟ يبدأ الشيطان يفعل مثلما فعل مع آدم -عليه السلام- ومع زوجه حواء، يبدأ يدفع الإنسان إلى ما يسهّل عليه العُري، فتبدأ المرأة في هذه الحال في قبول أن تظهر أجزاء من بدنها على أن هذا شيء من الجمال. بعد ما كانت ذات ذوق للجمال متناغم مع الكون كله، تبدأ تنفر من

هذا الذوق الجمالي، وتنتقل بسبب الفساد في الذوق، تنتقل إلى القبيح وتراه حسن.

وهذه هي الخطة الشيطانية في قلب المفاهيم الإيمانية، في قلب المقاييس الإنسانية، في قلب هذا الذوق للجمال، من هنا يكون شأننا، والمطلوب منا، أن نعيد مرة أخرى إلى نفوسنا مناقشة المسائل الفطرية، مثلًا موضوع مثل موضوع لعن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- للوَاشمة والمستوشمة، أو لَعن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- للمُتشبهات من الرجال بالنساء ومن النساء بالرجال، يجب ألا نناقشه على أساس أنه حكم فقهي، بل نناقشه على أنه أمر متصل بالذوق الجمالي.

لماذا يُلعن من يَتشبه من الرجال بالنساء؟

لأن الله خلقه جميلًا برجولته، جميلًا بلحيته، خلق جماله بقوة بنيته، خلق جماله بمشيَته، فحين يُفسد هذا الجمال بهذه التصرفات تكون عليه لعنة الله، عليه غضب الله. شركة من الشركات إذا صنعت منتجًا وبذلت جهدها في أن يكون هذا المنتج فائق الجودة، وتجد أحدًا يُفسد في المنتج الذي أنتجته، هل ترفع عليه قضية في المحكمة أو تتركه يُفسد في منتجها؟ بل ترفع عليه قضية في المحكمة، وتشوّه سمعته، وتفعل، وتفعل حفاظًا على المنتج الذي أخرجته.

سبحان الله، ولله المثل الأعلى، يخلق الله الرجل بجماله فيتكسّر ويتَأنث طلبًا للجمال؟ هنا تكون اللعنة عليه واجبة.

وهذه المرأة خلقها الله خلقة غاية في البهاء والجمال، وهي عنوان الجمال بما خلقت عليه من بدنها وبما خُصَّت من أخلاقها وحنانها وروحها وحبها، وقدرتها على جمع المتشتت وقدرتها على حل المشاكل. أليست هذه المرأة يجب أن تكون نموذجها أم سلمة -رضي الله عنها- ؟ يدخل عليها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في صلح الحديبية ويحكي لها عن أصحابه ماذا فعله فتُرشده وهو الرسول الكريم الذي يوحى إليه، هذا لتفهم المرأة أين جمالها؛ تحتوي الأمور وتحل المشاكل، وهي مستعينة بالله، منكسرة بين يديه -سبحانه- سائلة الله، راجية الله. هذه المرأة هي التي تبث الصلاح في أعماق العائلة. ما أجمل ما أعطى الله المرأة من خصائص، ما أطيب هذه الخصائص التي أعطاها الله للمرأة، لكن قلبوها على المرأة!

الشاهد أن المرأة فيها كل هذا الجمال فتنتقل من النعومة إلى الخشونة، تنتقل من الرقة إلى الشدة، فإذا نظرت لها لا بد أن تجد شيئًا قبيحًا، لا بد أن يكون هذا المنظر قبيح. ما زادت أبدًا جمالًا، بل إنها في الحقيقة فقدت جمالها، وهذا ما يريده الشيطان في تغيير خلق الله. أنتِ أيتها المرأة، وأنتَ أيها الرجل خلقتك التي خلقت عليها من ظاهرك وباطنك، هذه من علامات ودلالات الجمال من رب العالمين، تأتي فتشوه ظاهرك وباطنك؟ هذا مما يقال له: (قوم ما رعوا نعمتهم) فإذا ذهبت لا ينتظر أن تعود.

الوصية بعد هذا الكلام الذي سمعناه اليوم:

- أن نحرص على التذكير بما أنعم الله به علينا من جَمال، بأن اختار الإناث إناثًا واختار الذكور ذكورًا، بأن اصطفانا وأعطانا من الخيرات الشيء الكثير.
- التركيز على أن الجمال والبهاء إنما هو في داخل النفس وليس في خارجها.
- والتركيز على بث روح الشكر لله، على أن خلقنا بفطرة سوية، وميّزنا بوظيفة خاصة، فلنسعَ للقيام بها وليس للهروب منها.
- إذا تسلط علينا من تسلط من شياطين الإنس والجن، فلندافع عما نَحمل، وَلنثبت على هذا الطريق المستقيم، إنه ميزان رب العالمين في الأرض، لا يمكن أن يختل، بل يُذهب الله الأقوام الذين قلبوا الموازين ويبقى ميزان الله هو العدل.
- يذهب هؤلاء ولن يكون لهم في تاريخ البشرية شيء يُذكر، ويبقى ذكر الطيبين المباركين في السماء مرفوعًا.
- هذا الجمال وذَوقه يجب أن يبقى موجودًا في نفوسنا.

غدًا بإذن الله نأتي على ما فعل الشيطان في بعض النساء من جعل صورتهم الخارجية هي موضوعهم؛ فتدخل في أوهام وتدخل في أمور تفسد على نفسها بدنها، وتفسد على نفسها اختبارها الذي اختبرها الله به، تنسى أن روحها هي علامة جمالها. موعدنا غدًا إن شاء الله نستكمل هذا الموضوع المهم.

نسأل الله، عزَّ وجلَّ، أن يحفظ على النساء والرجال جمالهم، وأن يحمينا من هذه الموجات التي أتى بها شياطين الجن والإنس ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[1]

أوصي الجميع أن ينشروا هذا بين من يستطيعون من أبنائهم، وطالباتهم، ومن زميلاتهم، لا بد أن نحافظ على ذَوْق الجمال وإلا تفسد المجتمعات، نعوذ بالله من الفساد.

سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) الأنعام: ١١٢.

اللقاء الثّالث

الثلاثاء: ٨ جمادى الآخرة ١٤٤٣

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا زلنا مع هذا الموضوع العظيم الكبير، الذي لا نجد له حدودًا إلا كحدود الأرض من السعة، ولا نجد أهمية إلا كأهمية وجود الحياة؛ فإن الجمال قد قام في كل شيء، أقامه الله -عزَّ وجلَّ- في النفوس ذَوقًا، وفي الأرض وفي السماء نظرًا، ننظر إليه.

فكما سمعنا أمس وأول أمس أن الله -عزَّ وجلَّ- قد خلق في الأرض آيات عظيمة، وجعل لها جميعًا دلالة مهمة أمرنا أن نراها، وهذه الدلالة هي أنه -عزَّ وجلَّ- "جَميل، وقد خلق في الكون الجَمال".

جميل، يحب الجمال، حتى أنه -عزَّ وجلَّ- كما أخبرنا، خلق في الأرض هذه الحدائق ذات بهجة، تنظر إليها فتبتهج من ألوانها وأشكالها وما فيها من عجائب، وكل هذا يدل على أمور كثيرة في صفات الله لكنها تعود فتُفهمنا حديث:

«إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ»[1] فالله جميل وخلق الجمال وخلقنا نذوق الجمال.

وسمعنا قبل أنه -عزَّ وجلَّ- أيضًا أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلف ألوانها، وأنه -سبحانه وتعالى- خلق الجبال لها ألوان، والطرق فيها لها ألوان بيض وحمر وسود كسواد الغراب، كل هذا في الأرض وله تفاصيل كثيرة لو نظرت لها علمت أن الله جميل يحب الجمال.

وإذا نظرت إلى السماء رأيت آية في غاية الجمال، النجوم -سبحان الله- التي جعلها الله زينة في السماء من أعظم الدلائل على أن الله -عزَّ وجلَّ- قد جَمّلنا وجَمّل لنا الكون. فمن المؤكد أن هذا الجمال أمر مقصود؛ لم يأتِ تَبعًا، بدليل أننا عندما نقرأ الآيات الدالات على خلقه -عزَّ وجلَّ- للسماء، وكون السماء زُيّنت بالنجوم لأجل هؤلاء الناظرين لها، في سورة تبارك نسمع مثلًا: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[2] هذا بعدما قال لنا رب العالمين أنه: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ ما أعظم الجمال ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[3] وأمرنا أن نرجع النظر مرة أخرى وبعدها قال لنا: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ هذا ليتمتع بصرك بهذا الجمال وينعكس هذا على نفسك وروحك، فتَتَمتع بهذا الجمال.

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) الملك: ٥.

(٣) الملك: ٣.

أرض مليئة بالثّمرات ذات الجمال، والجبال ألوانها متعددة كُسِيت بالجمال، والسماء نُثرت فيها النجوم؛ فأصبحت كالثوب الجميل المرصّع بالجواهر، فالجمال مقصود منشور لأجل أن تذوقه فتعرف أن الله جميل يحب الجمال، ومن ثم يكون منك حب لرب العالمين وتتمتع بهذا الجمال.

انظروا كيف أن الله -عزَّ وجلَّ- في سورة الأعراف خاطبنا مبينًا أن هذه الزينة التي زيّن بها الأرض، وأخرجها للعباد لا يحق لأحد تحريمها. نقرأ الآيات ٣١ و ٣٢ من سورة الأعراف، وعلينا أن نركّز لنرى دلالة هاتين الآيتين على ما شرع الله لنا من الزينة وما أحل الله لنا منها، وكيف أن الخلق لن يستفيدوا ولا ينتفعوا منها إلا عندما يكونون أهلًا لطاعة لرب العالمين.

دلالة الآيات على ما شرع الله لنا من الزينة وما أحل لنا منها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

سيكون لنا إن شاء الله، اليوم مع هذه الآيات في سورة الأعراف وسياقها عدة وقفات. لكن نبدأ الآن بالكلمة الصريحة الواضحة التي تدلنا على الجَمال.

تصوروا أن رب العالمين يأمرنا أمرًا أن نأخذ الزينة فنتجّمل، وهنا موقف خاص من مواقف الجمال؛ وهو موقف العُبّاد الذين يُقبلون على رب العباد، أمرهم أن يكونوا متزينين؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- جميل يحب الجمال، وجعل في قلوبنا ذَوق الجمال، وأمرنا أن نكون متجملين.

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ يعني من اللباس ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في وقت الصلاة والعبادة أولى أوقات التجمل والتزين، سبحان الله! ومن مكملات الحياة السعيدة أن تأكلوا وتشربوا -هذه باقي الآية لكن بالمناسبة- أن تأكلوا وتشربوا لتتقوّوا على الطاعة، ولا تسرفوا فتَنهمكوا في الشهوات، وتنشغلوا عن الطاعات.

وليس هذا فقط، سيتبين أنه لا تحرّموا الطيبات من الرزق، لكن سنقف عند عجيبة أننا مأمورون بالتزين في لباسنا، خاصة وقت العبادات. مفهوم أن أولى الناس بهذا الخطاب هم الرجال الذين سيّجتمعون مع غيرهم؛ فالواجب أن يكونوا في حال من الزينة لأن الله ناظر إليهم، ولأنهم مجتمعون مع المؤمنين مثلهم، فلا بد أن يكون شأنهم شأن من اعتنى بهذا اللقاء، لا بد أن يكون شأنهم شأن من أراد أن يكون مهذبًا، لبقًا، جميلًا في هذا اللقاء.

هذه الآية لا بد أن تعيدنا إلى السياق، نرجع إلى السياق وبعد ذلك نفهم الآية التي تليها.

عرفنا أن الآية ٣١ تدفعنا إلى الجمال، وهنا خاصة وقت العبادة، وخاصة الرجال؛ يأخذون زينتهم باللباس المحترم المناسب لهذه الطاعة، يخرج للصلاة ذاك العبد الفَرِح بأحسن لباس، وحين تأتي صلاة الجمعة يكون أحسن

وأحسن، وحين تأتي الأعياد يكون أحسن، وأحسن، وأحسن، وكل هذا لأن الله جميل يحب الجمال، والعبد قد خُلق محبًا للجمال. وأفضل وقت يتجمل فيه الإنسان حين يتقرب إلى ربنا الجميل فيكون على أجمل صورة، وهذا واضح أنه في اللباس ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لذلك تجد كثير من المفسرين مباشرة قالوا: "خذوا زينتكم أي: من اللباس" لأن السياق يدفع إلى هذا الفهم.

سنعود إلى آية ٢٦ في سورة الأعراف ونرى بماذا أمرنا الله في أول الأوامر بعد قصة آدم: هذه النداءات الأربعة ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ كلها أتت بعد قصة إخراج آدم من الجنة بهذه الخبرة المهمة وهي: عداوة الشيطان، وإقسام الشيطان على مُعاداتنا، هذا الموضوع كله متصل ببعضه دائمًا:

- قصة خلق آدم.
- وعداوة الشيطان.
- وإنزال آدم إلى الأرض.
- وقصة الجمال أيضًا متصلة بها

فنجد أن هذا من أول النداءات بعد إنزال آدم -عليه السلام- إلى الأرض، كان النداء الأول:

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

نداء عجيب، بعدما علّم ربنا آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ الأرض ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ هذه الموتة الأولى ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ إلى يوم القيامة.

هذه القصة انتهت، وظهر لنا الصراع الذي بين الشيطان وبين آدم وذريته.

لكن ما أول نداء ينادَى به بني آدم؟ أول نداء هو: نداء الزينة وله علاقة بخروج آدم عليه السلام، ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ لأن القُبح في السوءَات أمر فطري متفق عليه، والإنسان يحب الجمال، وهذا من المنن علينا، فلما بيّن -عزَّ وجلَّ- أنه أمر آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض، وجعل الأرض لهم مستقرًا بيّن أنه -سبحانه وتعالى- أنزل كل ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا، اللباس مما نحتاجه في ديننا ودنيانا، وهذا مناسب جدًا لما ذكر من وقوع انكشاف العورة في قصة آدم، وأن آدم -عليه السلام- كان يَخصِف الورق على عورته، فأتبع هذا رب العالمين بأنه بيّن أنه خلق اللباس للخلق ليَستروا بها عوراتهم، ونبهنا على هذه المنة العظيمة على الخلق أنه أقدرهم على الستر في مقابل البهائم لا يسترون، سبحان ربنا العظيم!

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ يا لها من منة عظيمة! هذا اللباس تزيّنوا به، كما في الآية التي سمعناها ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يأخذوا زينتهم باللباس الذي سَيستر عوراتهم، وسيجمّل أشكالهم.

ونلاحظ كلمة ﴿أَنزَلْنَا﴾ ما معنى إنزال اللباس؟ ممكن كما ذكر المفسرين:

- "إنزال المطر."
- "وبالمطر تتكون الأشياء التي يحصل بها اللباس."

- "وإلهام الخلق صناعته، مثل هذا."

فقط لباس تسترون به عوراتكم وتظهرون به جمالكم؟ لا، ﴿وَرِيشًا﴾ الريش لباس الزينة، ليس ريش بمعنى ريش، هذه استعارة كما يذكر المفسرين، استعيرت من ريش الطير لأن ريش الطير لباسه وزينته، فالله -عزَّ وجلَّ- يخبرنا أنه أنزل علينا لِباسيْن:

- لباسًا يواري سوءاتنا.
- ولباسًا يزيننا.

إذًا الزينة غرض صحيح لا يُلام عليه أحد، -وخاصة المرأة لا تُلام على الزينة- هذا الريش أو هذا اللباس الذي نزل علينا لِنستتر ولِنتزين جماله لا ينكر. لكن أعظم من هذا لباس التقوى:

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ كأنه يقال: ربما بسبب ضعف التقوى لبس الإنسان ما لا يصح أن يلبس، لكن من أجل أن تواروا سوءاتكم وتَستروا عوراتكم القلبية والبدنية فلتكونوا أتقياء؛ لأن في القلب عُيوبًا وعورات عندما يكون الإنسان قليل التقوى، تخرج منه وتظهر منه هذه العورات؛ كالحسد والحقد، فإذا تجمّلتم في الظاهر باللباس، تجمّلوا في الباطن بالتقوى.

ونلاحظ أن الناس اليوم لا الأمر الأول ولا الثاني، والعياذ بالله. اليوم الشيطان عاد إلى إِغوائهم وإعادتهم إلى نفس الحال التي فعلها مع آدم وحواء، والناس اليوم في عُريّهم يدعون فلسفةً، وهذه الفلسفة ربما لا تكون عند نساء المسلمين قدر ما تكون عند الكفرة من أنهم يشابهون الطبيعة، وأنهم يعودون

إلى الطبيعة، فمن هنا ظهر هذا الفحش في العري، من هذه الفكرة، من هذه الفلسفة. لكن حين تأتي عند نساء المؤمنين تجد أن لباس التقوى ما حصل في القلب، ولذلك كانت النتيجة: ألا يُغطّيهن اللباس الذي أنزله الله وامتن به. وأهل الكفر رويدًا، رويدًا، -لمن يتابع ويفهم أحوالهم- يعلم أنهم وصلوا إلى حال أنهم يَتعبدون بالعري، وهذا ليس غريبًا على الشيطان، أليس الشيطان هو الذي أوصل أهل الجاهلية أن يَتعبدوا بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت؟ هو ديدن يسير به الشيطان.

فهمنا أن الإنسان أول ما يتزين بالزينة التي امتن بها الرحمن وأراد منا أن نَتزين ونتجمل بها هو لباس التقوى، ألا وهو العمل الصالح، السمت الحسن، هو العفاف، يا نساء المؤمنين، العفاف والتوحيد. لأن المؤمن لا تبدو عورته، وإن كان عاريًا من الثياب، والفاجر لا تزال عورته مكشوفة، وإن كان كاسيًا، فجمال الباطن غالب على جمال الظاهر، وتزيين الباطن غالب على تزيين الظاهر. وقد ذكر بعض أهل العلم، كما ذكر المفسرين:

- "أن لباس التقوى هو الحياء."
- "وقال بعضهم هو ما يظهر على الإنسان من السكينة والإخبات والعمل الصالح."

هذه هي الحال التي يجب أن نكون عليها، وهذا هو الشيء الذي نبذل جهودنا أن نتزين به، لذلك قال الله -عزَّ وجلَّ- : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ معنى الآية ولباس التقوى

خير لصاحبه إذا أخذ به، وأقرب له إلى الله تعالى مما خلق من اللباس والريش الذي يتجمل به.

هنا معانٍ عظيمة لا بد أن تكون قائمة في نفوسنا، الله -عزَّ وجلَّ- جميل يحب الجمال، يحب ستر القبيح وإظهار الجميل، سبحانه وتعالى.

إذا فهمنا هذا نفهم ما معنى أنه أنزل لنا لباسًا وريشًا من أجل أن نستر عوراتنا، بل ونتزين ونتجمل قهرًا في عدوّنا الشيطان -ثم نهنا- مع ذلك، عزَّ وجلَّ، ألا نجعل تركيزنا في مسألة الجمال على الظاهر؛ خير من اللباس الظاهر والجمال الظاهر، خير منه وأقرب إلى الله وأولى بالتجمل به التقوى، سبحان الله. ولذلك تُختم الآية بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته بعباده، إنزال اللباس عليهم دليل فضل الله علينا، فلتكن معاملتنا للباس معاملة العبد الذي تفضّل عليه سيده ومولاه بما يجمله فَيتجمل به، ويعلم أنه بتجمله يأتمر بأمر الله، ليس أمرًا، كما يظن الناس، عائد إلى أذواقهم وإلى طبيعتهم، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفون عظيم النعمة التي أنعم الله بها.

الآن سيتبين لنا في الآية التالية أيضًا حيلة الشيطان علينا في هذه النعمة وهذا اللباس:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)﴾

الآية صريحة في تحذير بني آدم أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبَويهم، للشيطان مكر؛ يجب أن تعرف أنه كما احتال على إخراج آدم وحواء من الجنة، كذلك يَحتال عليك فيَمنعك من دخول الجنة. والله من منته يُظهر لنا كيد الشيطان، وأن هذا الكيد كان من ابتداء خلق الناس.

ننظر مرة أخرى للكلام عن اللباس، توكيدًا على حماقة العراة الذين فتنهم الشيطان، فتنهم بالوسوسة، فالله يقول لنا: لا تمكِّنوا الشيطان من أن يفتنكم بوسواسه فتطيعونه، لا تطِع الشيطان في أن تلبس ما يأمرك به وفيه من القباحة، وفيه من العري ما فيه!

فهذه أعظم الفتن التي فتن بها الشيطان الخلق، بل لتعلموا أن العُريّ من العقوبات، فقد حُرِم آدم -عليه السلام- بسبب وسوسة الشيطان من هذا اللباس الذي كان يلبسه ويُستَر به، فكونوا على حذر، كيف أَخرجهم من الجنة؟ ما هي حالة أو هيئة الإخراج؟ كانت حاصلة في حال انكشاف سوآتهما، فانكشاف السَّوأة من أعظم الفضائح والفظائع التي تعارف الناس عليها، لكن عندما يقلب الناس ميزان الزينة، ويحصل هذا بفعل الشيطان، تكون هذه النتيجة. الله ألبس آدم وحواء في الجنة الحُلل وحجب عنهما سوآتهما، فلما حصل ما حصل من وسوسة الشيطان واستجابة آدم وحواء للشيطان وحصول الذنب، حصل نزع اللباس، فهو يريد أن يقع عليكم مثلما وقع على أبويكم؛ يريد أن ينزع عنكم كما نزع عن أبويكم؛ يريد أن ينزع اللباس، ويريد أن يُظهر السوءات. لاحظ اللباس والزينة معًا، كيف أن الزينة من منة الرحمن وكيف أن الشيطان حريص على أن يقلب الأذواق، ويجعل العُريّ الذي هو

بمثابة العقوبة والافتضاح، يجعله في الذوق مقبولًا، ولو ضُرب المثل بما في القلب سيتبين. الله يعيذنا ويحفظنا من أمراض القلوب، لكن مثلا الحسد، وقد قال بعض أهل العلم: "ما خلا جسدٌ من حسدٍ، لكن اللَّئيم يبديه والكريم يخفيه" لكن تصور لو أن القلب عارٍ مكشوف يظهر لكل الناس ما فيه، ووقتما تحسد أو تحقد أو تحتقر يظهر ذلك في شاشة كبيرة أمام الناس كلهم أنك حقدت أو حسدت! هل يحب الإنسان أن يفتضح بهذه العورة ويظهر أمام الناس بها؟! لا والله! لا أحد يحب أن يُفتضح.

أحيانًا يكون في العيون -التي هي مرآة القلوب، والألسنة مغارفها- ما إن لاحظته ستفهم أن هذا حاقد أو حاسد أو ماكر، فحتى حين يرى أحد في عينك ويريد أن يواجهك أنت تهرب لا تريد أن يفتضح فؤادك، أنت تعرف أن الحسد والحقد كلها سوءات؛ استرها بالتقوى واجعل جهدك في التزيين والتجمل هنا أول الأمر، ثم لا مانع من التزين الخارجي لكن بشرط ألا يكون الشيطان وأعوانه هم الذين خططوا لك ذلك.

من العجائب أن تقول المرأة: (أنا أتابع خطوط الموضة من أجل أن أكون راقية) أو كما تتصور أنها متطورة، وهي من الذين ينادون بالحريات، ودائمًا تقول: (المرأة حرة ويجب أن تكون حرة، والإنسان حر) إذا كنتِ حرة كيف تكون هذه الحرية وأنتِ تابعة لما يستحسنون؟ مثلًا لو قالوا لهذه المرأة: (هذا هو المرشد) أو كما يسمونه "الكتالوج لخطوط الموضة في هذا العام" فنظرت واستحسنت هذا أو هذا، ثم قالوا لها: (أخطأنا، هذا ليس تابع لهذا العام، هذا لِلعام الذي انصرم، خذي هذا المرشد الجديد واختاري مِنه لتكوني من أهل

الموضة)! هل هذا باختيارك؟ بحريتك اخترتِ ما تلبسين؟ أو أنك تابعة إلى الشياطين وأعوانهم الذين يوحِي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا! هذا بالنسبة للمرأة في اللباس وفي شعرها وفي تفاصيل حتى بدنها، والله المستعان، كذب في كذب، ولذلك ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ولذلك ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لذلك ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هم يجلسون معًا يخططون ولا يستجيب لهم إلا هؤلاء الأولياء، فسلطان الشياطين على هؤلاء القوم حتى يزيدوا في غيّهم.

أتت الآيات بعدها تُبين مسألة ولاية الشيطان، موضوعنا الزينة فسنركّز على ذلك. تصورنا أننا بدأنا من الآية ٣١ ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ وفهمنا أن الله جميل يحب الجمال وأمرنا بالجمال خاصة في المواطن التي نقبل فيها على طاعته؛ لأن الله يحب منا أن نكون في أحسن صورة وأبهاها خارجيًا وداخليًا، يا رب أعنا على ذلك يا رب العالمين.

ثم عدنا فتبين لنا أن الله امتن علينا باللباس وأن هذا اللباس من منته وأنه واجب علينا أن نهتم به، فحين نعود إلى الآية ٣١ نجد مرة أخرى في المناقشة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ وعرفنا أن الزينة هي اللباس الذي قد امتن الله به علينا، اللباس الذي يغطي عوراتنا، واللباس الذي يزيننا.

ثم يأتي أيضًا نقاش غاية في الأهمية في الكلام عن الزينة، فلا تحسبن أن موضوع الزينة يسير ومتروك لك، بل هو موضوع خطير، بدليل أنه في سورة الأعراف بعد الكلام عن إهباط آدم، وقصة آدم أتت هذه النداءات التي كلها

تدور حول هذا الموضوع، انظر بعدما أمرنا الله أن نأخذ الزينة عند كل مسجد - يعني عند كل صلاة وعبادة؛ لأن الصلاة أولى أوقات التزين- ماذا قال لنا؟

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ تصور ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ بالآراء الفاسدة وبِالبدع، يجب أن تعلموا أن الله أحل لكم الزينة، ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به الإنسان في الذَوق الفطري؛ لأن كلمة "طبيعي" صاروا يُنازعونا فيها؛ لأن المذهب الطبيعي عندهم الذي تشبه فيه البهائم! الذي هو على خُرافة أن الإنسان كان إنسان الكهف وكان لا يعرف أن يتكلم، ثم تعلم، والطبيعي كان لا يغطي عورته ثم تعلم يغطي عورته ثم تعلم الكلام، وهذا كله خرافات، الله خلق آدم على أحسن صورة ظاهرًا وباطنًا، بل وآدم كان نموذجًا للإنسان العالم فقد علّمه الله الأسماء كلها، وآدم -عليه السلام- كان نموذج التكريم، أسجد له الملائكة، فكلمة "طبيعي" في فلسفتهم تعني الخرافة التي خرفها عليهم شياطين الإنس والجن.

نحن نعود لوضعنا ونقول: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به جمالًا يوافق الفطرة ولا يخالفها، جمالًا ليس شاذًا، ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾

- التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان.
- وأخرج لعباده من الحيوانات الحرير والصوف.
- وأخرج لعباده من الأرض المعادن، كل هذه معًا أتت بها الأدوات، من الآلات والإبرة، وكل الأدوات التي تعرفها التي في النهاية يتجمل بها الإنسان.

فأنت لا تظن أن الله يرضى أن يأتي أحد ويقول لك: (إن التزين والتلذذ يتنافيان مع التذلل والعبادة، وأن الإنسان كلما تزين حُرم من الطاعة)!! الله أخرج الزينة لعباده، فالله أعلمنا أنه قد أخرجها لعباده الذين خلقهم لعبادته، لأجل ماذا؟ لأجل أن يتزينوا بها حال العبادة، وهذا مثل الأم وعندها اليوم ضيوف، ثم تقول لبناتها: (البسوا أحسن اللباس وتعالوا اخدموا ضيوفي) يبروك بخدمة هؤلاء الضيوف، من البر ألا تأتي بملابس البيت أو بملابس المطبخ أو رائحتها غير طيبة، لا نريد هذه الخدمة، بل نريد إذا حضروا فعلوا ما يُجمّل الإنسان، ونحن نقول دائمًا: يا رب جملنا مع ضيوفنا، ويا رب جملنا أمام أزواجنا، الجمال شيء مهم!

الله خلق هذه الزينة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أخرجها الله لخلقه العابدين لِيتزينوا بها حال العبادة، وأنزل عليهم الطيبات وأعطاهم الطيبات التي خلقها لتَطيب قلوب عباده فيَشكروه. والشكر عبادة.

فلا تظن أن الشريعة تقول لك: (لا تتزين ولا تتلذذ بالطعام والتزين والتلذذ ممنوعان ويخرجانك من العبادة) بل هي تكون داعية للعبادة، لكن المهم أن يكون الإنسان قبل هذا كله يلبس لباس التقوى، نعوذ بالله، الذي يلبس لباس الفجور لن يكون ممن أحلت له هذه الزينة، أو أحلت له هذه الطيبات، والسبب أن الفجور لا يُمكن لصاحبه أن يكون سائرًا على ما يرضي الله، الله يحب منا التجمل والتزين، خاصة، وقت الطاعة ووقت العبادات ووقت خدمة المسلمين، ووقت نفعهم، لكن يسبق هذا كله أن تكون هنا، في داخلك، قد

تزينت بالتقوى وسترت ما في النفس من عيوب، سترتها بلباس خوف الله والتقوى منه، ليس أن يأتيك خاطر الحسد فَتحسد، وخاطر الحقد فتحقد، وتأتيك خواطر السوء فتستجيب، بل كلما ظهرت امنعها، ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هذه الزينة والطيبات مخلوقة للقوم الذين آمنوا في الحياة الدنيا، والكفار يشاركونهم فيها تبعًا، لكن نلاحظ أن الكفار لا يتزينون كما يتزين المؤمنين، ولا يطيب لهم الطعام كما يطيب للمؤمنين، إذًا هي بالأصالة للذين آمنوا في الحياة الدنيا، والكفار تبعًا لهم، وإن كانوا ليسوا في منزلة المؤمنين في هذه الشؤون، في الدنيا هناك مشاركة؛ لكن يوم القيامة خالصة لا يشاركهم فيها غيرهم؛ لأن الله حرم الجنة على الكفار وهي التي فيها الطيبات من الرزق واللباس والجمال، قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[1] ما هذا الجمال سبحان الله، أمر يعجز العقل عن تصوره!

يقول أحد: (نحن في الدنيا يجب أن نكون بصورة المتقشفين أو بصورة الزاهدين.)

- أولًا: إنما خلقت الزينة واللذات في الدنيا؛ ليعلموا بها لذات الآخرة فيشْتاقوا إلى الآخرة، يرغبون فيها مزيد رغبة. عندما تكون سائرًا في الطريق وترى حديقة غنّاء وأشجارًا ألوانًا وألوانًا ومحاطة بسور ورائه قصر لا تظهر معالمه من هذه الأشجار والفروع الطويلة والجميلة، أليس هذا الجمال مذكِّرًا للمؤمنين بأن في الجنة أجمل وأجمل؟ ووقتها يقول

(١) الكهف: ٣١.

الإنسان: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ»[1]؟ قِس هذا على نفسك في المواقف والأحداث التي تمر عليك، أي شيء يأتيك أو تتجمل به من ذهب أو فضة أو لؤلؤ أو مرجان، لا يتعلق القلب بِه، ونؤكد أن ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، وهذا هو المنطلق من كل هذا النقاش، لكن حين تراه وترى أفضل منه وأجمل منه، لو كان لباس التقوى موجودًا لن يدفعك هذا إلى مزيد تعلق بالمال، بقدر أنه سيردك لتقول: (في الجنة المزيد). لكن الله -عزَّ وجلَّ- جعل هذا مشترك بين المؤمنين والكافرين لماذا؟ لماذا الطيبات من الرزق والزينة موجودة عند المؤمنين والكافرين؟ لأنها لو كانت موجودة عند المؤمنين فقط؛ لآمن الكفار الذين لا يريدون وجه الله طبعًا! لكن يوم القيامة ستصبح خالصة لهم.

- لذلك لا تتصور أن الإسلام يحرم الزينة، الإسلام لا يحرم الزينة، بل الله -عزَّ وجلَّ- يمتن على عباده بهذه الزينة لأنها لو حرمت على المؤمنين ستكون مخلوقة للكافرين، وهذا لا يرضاه ربنا الحكيم، والزينة هذه والطّيبات خُلقت للمؤمنين، لكن متى تكون للمؤمنين فقط؟ تكون للمؤمنين فقط يوم القيامة، أما في الدنيا فيَذوقون منها ولا يَنهمكون فيها، يرونها ويشتاقون بسببها إلى ما عند رب العالمين، إذًا هذه الزينة التي أخرج الله لعباده ما حرمت، ويكون أخطأ من ظن ذلك؛ ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وهنا نرى في الآية التالية مباشرة الأمور التي هي مستقبحة:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٣).

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

إذًا الزينة ليست محرمة إنما ربنا حرّم هذه الأشياء؛ حرم الفواحش، وهو الأمر الفاحش في نفسه، ونحن نرى العُري الفاحش والتجمل الفاحش، نرى أمورًا الكلام فيها مزعج، أمور تدل على انحطاط الذوق في طلب الجمال وفي طلب الزينة، أمور تدلنا على أن النساء ما همهم لباس التقوى، بل الاهتمام بالظاهر والشكل واللباس يصبح منتهى آمال النساء خصوصًا مع وجود هذه الموجة من ظهور قدوات ليسوا أهلًا أن يُقتدى بهم؛ فاشتهر التافهين والتافهات، والفَارغين والفارغات، وانتقلنا من التزين باللباس إلى التدخل في خلقة الله، وأتى سُعار محموم في عمليات التجميل ونسوا أن الجمال الحقيقي هو جمال الروح وأنه هو الذي يبقى في ذاكرة الإنسان للإنسان وليست الصورة الخارجية، إنما بهاء روحه، وهذا والله مهما ذكرناه ومهما تكلمنا فيه لن نستطيع أن نأتي عليه

- نراجع ما هو حاصل من السقوط في الذوق.
- ونراجع البعد، كل البعد، عن الزينة والجمال الذي يحصل.
- نراجع ما هو حاصل من تعديل للأنوف والشفاه ولَأجزاء من البدن يستحي الإنسان أن يتكلم عنها أصلًا، فكيف تكشف وتمس.
- كيف تترك المرأة العفيفة الشريفة أجزاء من بدنها تمس من غير حاجة، إلا هذا السُعار! أمور مخالفة للفطرة قبل الذوق، لكن الله المستعان، الشكوى إلى الله.

اللهم رد نساء المؤمنين إليك ردًا جميلًا يا رب العالمين. ما نرى في هذا إلا أننا ابتلينا، والله يقبل توبة التائبين ويغفر للمستغفرين. اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، اللهم رد بناتنا وشبابنا ونساءنا إلى ذوق الفطرة، إلى جمال الفطرة، إلى البهاء الذي تحبه، واجعلنا خاصة في أوقات الطاعة والعبادة من المتجملين، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء الرّابع

الأربعاء: ٩جمادى الآخرة ١٤٤٣

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ربنا الجميل الذي آثار جماله في كل شيء، الذي جمّل الإنسان بفطرته السوية، جمّل الإنسان فجعله يحب الجمال، وجعل له من مقاييس الجمال كل جميل، سبحان ربنا الجميل، الذي من جماله خَلَق الإنسان يحب الجمال وعرّف الإنسان حقيقة الجمال، وبسط للإنسان في كل شيء جمال.

انظر إلى أوائل سورة النحل، انظر كيف يُخاطبنا رب العالمين ويذكّرنا بهذه المنة العظيمة؛ منة "الجمال"

الله -عزَّ وجلَّ- زيّن لنا الأرض، وجعل فيها حدائق ذات بهجة، وزين لنا السماء وجعلها مرصّعة بهذه النجوم التي هي بمثابة اللآلئ، وهنا سننظر في مطلع سورة النحل كيف جمّل رب العالمين لنا من مخلوقاته ومن أحوالها، وخلق لنا ما نَتجمل به، ففي الآية الخامسة والسادسة من مطلع سورة النحل نسمع هذا الكلام العظيم، سبحان ربنا العظيم:

كيف جمّل رب العالمين لنا مخلوقاته

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

سبحان ربنا العظيم، هذه المخلوقات التي أنعم الله -عزَّ وجلَّ- بها علينا، ونلاحظ ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أنتم المنتفعون لا أحد غيركم من هذه الأنعام، هذا موضوع يحتاج إلى نقاش؛ كيف أن هذه الأنعام ما خلقت لنفسها إنما لك، وكل هذه النعم لك من تكريمك لأجل أن تكون كما يجب، لكن نحن نناقش شاهدنا. ونجد أن هذه الأنعام فيها منافع ضرورية حاصلة من الأنعام، وهناك منافع جمالية، قُصد بها الجمال، وهي أيضًا ضرورية لأن الجمال وتمتع الإنسان بالجمال من الأمور الأساسية في خلقة الإنسان، فيقول لنا رب العالمين: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ووجه هذا التجمل هو صورة هذه الإبل، وكيف أنها عند غدوّها وعودتها يكون لها منظر غاية في الجمال، حتى ثُغائها ورُغائها يكون زادًا، وتلحظ أن هذه المنفعة قدمت على المنفعة التي تأتي بعدها: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ تصور أن منفعة الجمال تقدمت على منفعة النقل والسفر، ففيها زينة في أعين الناس، وفيها عظمة وفيها وجاهة. ونحن غالبًا (أهل المدن) محرومون من النظر إلى هذا الجمال، ومن بعيد لا نراه جمالًا، لكنه كما قال الله -عزَّ وجلَّ- وكما يعرف هذا أرباب الماشية وأرباب الجِمال،

كلهم يعلمون كيف يظهر في صورتهم حُسن التركيب، وتناسب الأعضاء وتناسقها، ووالله حتى هذه البهائم في أخلاقها ترى شيئًا من الجَمال.

- فالجَمال في الصورة لهذه البهائم حُسن تركيبها وتناسق أعضائها وتناسبها.
- وفي الأخلاق اشتمالها على صفات خلقها الله مفطورة عليها تعرف بها، خصوصًا الماشية، وتتميز وتتعايش بها.

فتجد في جَمال الإبل مثلًا، ليس جَمال الصورة إنما جمال الأخلاق التي طُبعت عليها، تجد غيرة على المحارم، تصور أن الإبل يغار. تجد حنانًا من الأم وخوفًا على الأبناء، أمر عظيم! هذه الأخلاق الجميلة المشتملة عليها هذه الماشية في النهاية تأتي بالمصالح وتدفع المضار، تجلب لنفسها المنافع وتدفع عنها السوء.

اليوم مع وجود التصوير للحياة البرية والبهائم، نجد في أرض الله الواسعة أمورًا عجيبة، نجد القطيع من هذه البهائم إذا حصل وحاول الأسد أو كذا من الحيوانات المفترسة أن تفترس صَغيرها، تأتي وتتعاون على دفع هذا المفترس، وإذا مات الصغير بالافتراس أو غيره، ظهر الحزن وأصبحوا في مثابة من يعزي والدته. كل هذه الأمور كانت معروفة واليوم اشتهرت بهذه الأدوات.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ خاصة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ في هذين الوقتين، هنا نعود إلى الماشية، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ حين تردونها في العشي إلى مراحها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ حين تُخرجونها غداة من حظائرها.

في هذا الوقت يظهر أمر الجمال؛ ذهابها وعودتها وترتيبها واجتماعها، وتقدُّم بعضها ومحاولة المتأخرين أن يصلوا مع المتقدمين، كل هذا جمال في مراقبتها.

وهنا الحقيقة أننا لا نستطيع أن نصف هذا الأمر والسبب أننا لسنا ذوي صلة في هذا الأمر، ولكن كما قال رب العالمين وكما شهد الأولين والآخرين، أن الناظر إلى هذه القُطعان وهي تخرج وتسير يجد في نفسه شيئًا من الجمال، ينظر إلى الجمال! النظر إليها يستجلب أُنسًا وبهجة، حتى أن بعض أصحاب الحظائر حين يخرج رعاته يسرحون بها في الجبال، حينما تعود -يريد هذا الحاكي أن يقول: كم في القرآن من وصف لمشاعر الإنسان- هذه إلى حظائرها يجد شعور حضور الغائب، وإقباله بعد إدبار، هكذا يشعر. فكان يحكي هذا لماذا فيها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ قبل ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾، حين تعود كأنها بمثابة الذي يستقبل الغائب فيقع في نفسه من الأُنس والبهجة إذ حضروا بعد غيبة، وأقبلوا بعد إدبار وهم في أحسن حال، ويقول: (إن أسوأ خبر يمكن أن يسمعه في تلك اللحظات أن يَفقد شيئًا من الماشية) خصوصًا الفقدان الذي ليس وراؤه بحثًا؛ للشياه الصغيرة، أما لإبل فيكون معناه أنه سيقوم ويبحث عنه ويدخل في قضية طويلة.

الشاهد المهم هنا أن هذه مشاعر أنت تعرف أنها موجودة عند أصحابها، وإذا أذاقنا الله مثلها فالحمد لله، وإذا لم نجد فرصة لذلك فنحن مؤمنون أن الله جعل فيها جمالًا لكل ناظر إليها ولكل مالك لها ولكل راعٍ لها، سبحان ربنا العظيم. ونجد الجمال في نفس السياق:

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

حتى هذه المراكب فيها زينة، وهنا غايتان: لتركبوها و تتزينوا بها.

معنى ذلك أن أصحاب هذه الدواب العظيمة يجدون في دوابهم زينة، وهذا أمر معروف وربما نحن نشاركهم في النظر إلى الخيل التي تتزين بسيرها وتتزين ببعض حركاتها، وخصوصًا الخيل العربية، فإن الخيل العربية عندما تقف لها ميزة جمالية عجيبة تجعل الناظر إليها ينبهر بها. وقد سمّوا الخيل (خيلًا) لأنها تشعر بالخُيلاء في سيرها وفي عدوها وأثناء وقوفها، وهي -سبحان الله- من العجائب، عندما تولد، تولد مفتوحة العينين، ويستطيع هذا المولود الوقوف بعد دقائق معدودة من ولادته بدون مساعدة.

لها في صفتها من الجمال المبهر، وحتى في وقوفها، تقف على حوافر معينة، ليس مقصدنا وصفها، لكنها تقف على عدد معين من الحوافر وترفع حوافرها وتقف تَتَخايل، وهذا أمر معروف مشهور، أن هناك أمور تميز الخيل العربي الأصيل -غير الأصيل غالبًا يكون المهجن- لكن شيء عجيب أن حتى هذه الخيل تستطيع أن تفهم، وكل هذا بأمر الله، تفهم وجهك كونك في حال من الانبساط والسعادة فتزداد من حركاتها التي فيها خِيلاء فتَتزين أنت بها، وترى جمالها، والله إننا أمام أمر عظيم، وكل هذا الكلام الذي نقوله نود أن نعرف أننا حرمنا أنفسنا من الجمال الحقيقي، ومن النظر إليه. الجمال الذي خلقه الله في الكون، حرمنا أنفسنا من النظر إلى جمال ما خلق الله الذي يزيدنا إيمانًا،

وذهبنا بعيدًا إلى هذا الجمال المصنّع الذي ما فيه إلا الشذوذ في الصور والمبالغة في كل شيء!

إذا كان الله -عزَّ وجلَّ- جمّل هذه البهائم، كيف بصورتك أيها الإنسان، وخاصة أنتِ أيتها المرأة، كيف بصورتك الجميلة التي جمّلك الله بها؟ نضيف آخر شيء في سورة النحل اليوم نتكلم عنه، وهي الآية الرابعة عشر في سورة النحل، نقف عندها وننطلق منها للكلام عن ما جمّلنا الله به، وما وهبنا إياه من أجل أن نتجمّل.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

هنا الأمر واضح جدًا، الله -عزَّ وجلَّ- يخبرنا عن منّته علينا في مسألة الجمال، وهي متداخلة مع بقية المنن لكن تصور أن الله يُسخر لنا هذا البحر، الآية العظيمة فيَركبه الناس من أجل أن نأكل منه لحمًا طريًا، فقط من أجل أن تقوم أبداننا؟ لا! أيضًا في هذا الموضوع للجمال نصيب ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ سبحان الله! موضوع الجمال موضوع حاضر، حتى هذا البحر سخره الله -عزَّ وجلَّ- بسبب إقامة الأبدان، وأيضًا بسبب إقامة الأرواح، فترى الجمال.

ففي البحر اللؤلؤ والمرجان، وغير ذلك مما يكون في البُلدان البحرية تعارفوا على التجمل به، فيُلبسوه النساء، وتحصل به الزينة، ويحصل بهذه الزينة الشعور بالجمال.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ زينة تتزينون بها ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ معنى ذلك أن الله -عزَّ وجلَّ- قصد بهذه الخِلقة أن تزدادوا جمالًا؛ فيحصل لكم في لبس هذا الشعور بالسعادة، والقوم الذين يستخرجون اللؤلؤ -خاصة في الخليج- ويرون كيف يخلقه الله، المشكلة أننا من كثرة اللؤلؤ الصناعي الناس لا يميزون بين الطبيعي والصناعي ومن ثم لا يسألون كيف يخرجه الله، وهو في إخراجه نفسه نجد نوع جمال، سنجد هذه اللؤلؤة الجميلة جدًا إنما تخرج في الصدفة المغلقة جدًا، المستورة جدًا، وكلما كانت هذه في الأعماق أكثر كلما كان فيها من الجمال ما فيها، فسبحان ربنا العظيم! كيف جعل لنا في كل شيء آية. سنجد أنفسنا حتى هذا الأمر الذي نتزين به نحن بعيدون عنه، والسبب: الالتفات عنه للتجمل بأمور لا جمال فيها. وهذا طبعًا يجعل الإنسان رهينًا وعبدًا لغيره. لكن حين ترى الجمال فيما خلق الله تكون عبدًا لله.

عندما ترى مثلًا كيف تتكون هذه اللؤلؤة في داخل الصدفة وكيف عندما يفتحونها يجدونها، وكيف سبحان الله تَكون أرزاقًا. تكون الصدفة من الخارج كبيرة وتشعر أن فيها لؤلؤًا كثيرًا، فَتفتحها ولا تجد شيئًا، وبالعكس يجدون في الصغيرة ربما، وربما صدفة يكون فيها اثنين أو ثلاث.

كل هذا النقاش يُراد منه أن يُقال: لو كان تركيزنا على ما خلق الله ووهب وأعطى من الجمال لتمتعنا تمتع العابدين لأننا لا بد أن نقول: (سبحان ربنا العظيم). أما الناس اليوم منبهرون بما تصنعه أيدي الخلق، وما صنعت إلا بأيدي الله، إلا تقليدًا لما خلق الله، وهذا الفرق بين الثرى والثريا من حيث أثره

على الإنسان. ربنا خلق ما نتزين به، وهذه تسمى (الحلي) التي نتحلى بها، يعني نصبح بِتعبيرنا "حلوات" من الحلي، نتحلى بها.

فأنت تكون أصلًا في نفسك قابلًا بالصورة التي خلقك الله بها، راضيًا عن الله تمام الرضا، وشاعرًا أن الله -عزَّ وجلَّ- قد أنعم عليك بالصحة والعافية، وأن أي صورة خارجية لك إنما خلقها الله اختبارًا وامتحانًا لرضاك، وقتما خلق الله لك ما تتحلى وتتزين به، فتكمل أي شعور عندك أن هذا أحلى وهذا أجمل، بهذه الحلي يحصل لك إكمال ما يمكن أن يكون في نفسك منه. فهذا هو الشيء الطبيعي، لذلك في سورة الزخرف يقول -عزَّ وجلَّ- ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1] يعني البنات اللاتي يَتربين في الزينة، وهم في المجادلة غير مُبينات لمن خاصمهم ببرهان وحجة. وقد ذكر أهل العلم من هذه الآية "أن فيها دليل على إباحة الحليّ للنساء، بل وأن هذا الأمر الطبيعي للمرأة أنها تتحلى وتتجمل ويحصل بذلك نوع من السعادة النفسية لها." والبنت يُتّخذ لها الحلية من أول عمرها، وتُستصحب في سائر أطوارها، ومن هي رضيعة نشق طرف أذنها لنضع الأقراط فيها بخلاف الصبي لا يحلى، فهي تُنشأ في الحلية، فهذا يدل على أن الله -عزَّ وجلَّ- قد متّع المرأة بجواز التحلي، بل بأن طبيعتها تتحلى.

تحب الجمال، هذا طريق الجمال، تَحلِّ مما أحل الله والبسي مما يسر الله لك من الذهب ومن الفضة، بل حتى لو من الحديد، البسي مما يسر الله لك، وتجملي به ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ لكن هنا انظري للأمرين معًا؛

---

(١) الزخرف: ١٨.

- الأمر الأول الله -عزَّ وجلَّ- الذي خلق لنا الجمال ويحب لنا التجمل.
- وخلق لنا الذهب الفضة التي أجمعت النفوس كلها على جماله، لا يوجد معدن يشاركه، حتى الألماس ما صار له قيمة هذه التي ترمز إلى أنها أحسن من الذهب إلا مؤخرًا وبأسباب تجارية ودعائية، بمعنى أن شركات معينة قامت على مناجم الألماس، وابتلي الناس بالترويج للألماس على أن لابسه من أصحاب الطبقة الراقية، فأصبح علامة على الرقي. لكن من جهة ما خلق الله لا شيء أبدًا يعلو على الذهب والفضة.

وهذا كما في أوائل آل عمران قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[1] هذا الذي سيبقى له قيمة طوال الحياة، فأباح لك أيتها المرأة التزين بالذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان، وكل أمر مباح لك أن تتزيني به فتزيني به، مع ملاحظة حدود هذه الزينة لمن تكون وكيف تكون. لأن هذه الزينة التي منّ الله بها علينا أراد الله لنا أن نتمتع بجمالها وليس أن نفتن الناس بها.

هذا أمر من الجمال، هذا من أين سيأتي؟ من جمال روحك. المرأة نُشِّئت في الحلية، هذا حالها أنها تُنشأ في الحلية وتزداد جمالًا بها، تُربى في الزينة، وكل شيء تلبسه المرأة من هذه الزينة المباحة يزيدها جمالًا، لكن يجب أن تلحظ أن هذه هي الصورة الخارجية، هي الصورة الأولية فقط.

---

(١) آل عمران: ١٤.

ونكرر هذا المعنى من أول لقاء في الجماليات، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعله مستقرًا في نفوسنا جميعًا: هذه الصورة الخارجية التي نتجمل بها، والذي خلق الله لنا من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان وغيرهم من ما يستخرج من البحار، خلقه لأجل أن نتزين به، هذا المقصد؛ لكي نزداد جمالًا وتلبس الحلي فنَتحلى بها، لكن هذه هي الصورة الأولى، الانطباع الأول، فما أن جالسك المجالس، وما أن كلمك المتكلم معك، إلا بدأت آثار روحك هي التي تشكل صورتك في ذهن الذي أمامك، ثم إذا غادرنا المجالس وذهب كلّ في طريقه، والله إن انطباع روحك هو الباقي مهما كان من جمال الصورة؛ وجوده أو عدمه، انطباع الروح هو الباقي، فلا تبالغ، لا تبالغي أيتها المرأة في جعل صورتك الخارجية مدار تفكيرك، وهذا بعد التأكيد أن الله أباح لنا التزين، وصف النساء بأنهن يُنشأن في الحلية منذ صغرهم. وأنهم يربيهم أهلهم في الزينة، لكن المبالغة في تصور أني لا أصبح إنسانًا كاملًا إلا بهذه الزينة؛ مرفوض!

لذلك عندما تقرأ في تفسير آية الزخرف تجد أن المفسرين يقولون: "هي تُنشّأ في الحلية لتزداد جمالًا لأنها دائمًا تشعر أنها تحتاج إلى ما يكملها، في مقابل أن الرجل لا يحتاج إلى الزينة لأن صورته الخارجية قد جعل الله فيها البهاء برجولته، الجمال في رجولته ولا حاجة للزيادة على ما خلق الله من أن يطلق لحيته، ويكون في مشيته يمشي مشية الرجال" وقد مر معنا هذا الكلام.

إذًا نلاحظ لباس التقوى في القلب.

ومن لباس التقوى المهم جدًا أن ترضى عما خلقك الله به من جهة لونك، فقد غاير الله بين الألوان وجعل في كل الألوان بهاء، بل ومنّ على الخلق بتنوع ألوانهم وألسنتهم، فجعل الله -عزَّ وجلَّ- هذه الخلقة التي خلق الإنسان عليها من جهة لونه، وتنوّع ألوان الناس من آيات الجَمال. ففي كل لون، لوّن الله به الخلق جَمال.

لكن سنعود مرة أخرى -مثل أمس- ونقول: يأتي الناس فيكونون عبيدًا للمعايير ويقولون نحن أحرار. وهذا من أشهر الكذبات، أن تقول المرأة: (أنا حرة ألبس ما أريد) وهي أمة لدور الأزياء! تقول هذا العام، وهم يؤرخون بتاريخ الإفرنج فيسيرون وراءهم سير البهيمة، يقولون لهم هذا اللون الآن هو اللون الجميل في هذا العام، فهي مباشرة تشعر أنها تحب هذا اللون، اليوم انتهى عامهم، غدًا يصبح اللون الجديد لون الجمال وهي فورًا تنتقل وتصبح تحب هذا اللون. وهذا الأمر شواهده لا نهاية لها من اللون والشكل والطويل والقصير إلى آخره، ثم تقول لك: (أنا حرة ألبس ما أريد) وهي عبدة لدور الأزياء وليست حرة كما تظن. لكن عمت البلوى، وصار البعض يظن أن المنطق هنا لئلا أكون متخلفة عن الركب يجب أن أجري وراءهم وأسير معهم، مهما كانت المعايير مختلة لا بأس، ثم تأتي مشكلة أكبر فـ"يُأسلمون" الموضة، يجعلونها قريبة من الإسلام، عندما تكون الموضة في سنة من السنوات الطويل، يقولون: الحمد لله، خير وبركة ونحن نلبس على الموضة، نلبس طويلًا، ما يريده الإسلام!! في وجدانها هي لَبست ما يلبسه أسيادها، وإذا انقلبوا وغيروا غيرت، وهم لا يتركون حتى هذا الطويل طويلًا، يجب أن يشقوه من هنا أو من هنا عبادة للشيطان وإرضاء له.

نبقى في هذه النقطة المهمة وهي: الرضا بما قسم الله من جهة اللون ومن جهة ما رزقك من شعر ومن طول، كل هذا ارض به، ثم إن الله -عزَّ وجلَّ- خلق الناس متفاوتين حتى في أبدانهم، فهناك من خلق مُمتلئ البدن وهناك من جعل الله -كما نعبر- عوده نحيفًا، فكلّ يرضى بما قسم الله، ويفعل ما يرضي الله، فلا يكن نهْما في طعامه لأجل أن السمنة المختارة، التي يختارها الإنسان ويفعلها ويوصل نفسه إليها ليس مما تحض عليه الشريعة ولا تأمر به، بل الشريعة تأمر بالاقتصاد في المطعم والمشرب، لكن هناك من يُخلق بهذه الصورة فتدخل في عقد نفسية، ولا ترضى عن نفسها إلا عندما تدخل نفسها في كمية من العمليات والمشاكل، وهنا نؤكد أن للضروريات أحكامها، والرضا عبادة عظيمة.

علينا أن نفرق بين الأحوال؛ بين أن يكون من الضروري القيام بمثل هذه العمليات وبين أن يكون شيء من الكماليات وعدم الرضا بما رزقني الله. وهنا ننتقل إلى الأصعب من ذلك، وهو التدخل الجراحي في خِلقة الله.

كما أن هناك موضة في الملبوس، أيضًا هناك موضة في حجم الأنف وحجم الشفاه، يحصل التدخل في خلق الله. ونؤكد على الفارق الكبير بين الضروريات وبين الأهواء وعدم الرضا بما خلق الله، وهذا أمر معروف حتى على مستوى الأطباء؛ كيف الجراحات التجميلية الضرورية والجراحات التكميلية التي يراد بها فقط التدخل في خلق الله.

في حياة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بعد معركة من المعارك جُدِع أنف أحد الصحابة فأُتِي للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- وسأله عن حليّة اتخاذ أنف من ذهب لأجل مصلحة وليس لأجل التجمل، وهذا كان لهم فيه طريقة معينة.

الشاهد هنا أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أباح له، فالشريعة تجعل مصالح الإنسان -ما دام ليس فيها حرامًا- مباحة؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات. وإن كان الذهب لا يصلح للرجل لكن في موقف العلاج يستعمله وليس يتزين به.

الرضا بما قسم الله في صورة الإنسان، تُضيف على روحه بهاءً وجمالًا. لكن انحطاط الذوق في طلب الجمال والسُّعار لعمليات التجميل، وعدم الرضا عمّا جمّلنا الله به، كل هذا لا يليق بمن آمن بالله واليوم الآخر، ولا حاجة لقول: إننا كثيرًا قد شاهدنا وسمعنا من شوهوا أنفسهم بسبب هذه التدخلات الجراحية؛ لأن هناك من اتخذها تجارة، فدخل هذا الباب من الجراحة وهو ليس به فقيه، فأصبحوا يتاجرون بالناس!

الله لم يُحرم الزينة، الزينة لها حدودها المباحة، أذن لك أيتها المرأة أن تتجملي، وخلق لك ما تتجملين به، فلا تعبثي فيما رزقك إياه رب العالمين، وتقربي إلى الله بالزينة؛ تزيني للزوج ما استطعتِ إلى ذلك سبيلًا، وتزيني في وقت العبادات بالنظافة والطهارة الخارجية والداخلية، وتزيني حين اجتماعك بالأحباب، بزينة تليق بذاك المجلس. وتزيني لوالديك وخاصة لوالدتك زينة

تدخل على نفسها السرور إذا نظرت إليكِ، فتشعر بنعمة الله عليها في هذه الابنة المتزينة في داخلها بطهارة القلب وفي خارجها بجمال المظهر.

الله -عزَّ وجلَّ- ابتلانا بالشيطان، والشيطان يعرف مداخل الإنسان، وأعظم مدخل من مداخل النساء: الجمال؛ لذا تجده -نعوذ بالله منه- يَقلِب الأذواق، ويجعل المرأة لا ترضى على نفسها إلا بهذه الصور الشاذة. عندما تنظر للأظافر الطويلة مثلًا، أي جمال في مشابهة الوحوش؟ حتى المربين للقطط الآن -وهذه هي الموضة- تجدهم يخصصون أشخاصًا يأتون ليُقلموا أظافر هذه القطة من كثرة الرعاية لها! يقلّمون أظافر القطة وأنت تمدها على الخلق!! كيف حصلت القناعة بهذه الصور الشاذة؟! كيف حصلت القناعة بالأمر الذي في الطبيعة والفطرة غير مقبول، أي جمال في أن يلبس الإنسان شيء ممزع؟! لكن من أجل أن تعرف أن الشيطان يفرض على الناس مثل هذه الأمور ثم يجعلها جمالًا. لا بد أن نلتقي لقاء، نفهم من خلاله كيف تحصل الفكرة وتَتبلور حتى تصبح رمزًا والناس يقبلونها ويتوقفون عن انتقادها؟! كيف يتردى الذوق ولا أحد يدافع عن الذوق السليم؛ الذوق الفطري؟!

الموضوع لا ينتهي وتفاصيله كثيرة؛ لكن نوصي أنفسنا بأن

- ننشر مقاييس الجمال الصحيحة.
- وألا يغلبنا الشيطان وأعوانه على الذوق السليم.
- إن الزينة والجمال من سنن الله الكونية، ومن منّته علينا ومن سننه الشرعية.

ثم أؤكد على معشر النساء أن الله يجمل المرأة ويضفي عليها بهاء إذا كان داخلها تقيًا نقيًا، الله يضفي عليك البهاء، الله يجعل في روحك الصفاء، يجعل من يجالسك لا يمل من الجلوس معك، يجعل النفوس منشرحة إليك، مقبلة عليك، تقول: يا الله، كم في مجالستها من انشراح الصدر. الله هو الذي يضفي عليك الجمال والبهاء، وما حرم الله زينته ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ لكن المصدر الحقيقي لهذا الجمال والبهاء هو الله. فلْتتقي الله في نفسك ولْتجملي قلبك بلباس التقوى ولْتطهريه، ولا تدخلي مع أحد منافسة، فإن خصوصية جمالك لا يشاركك فيها أحد.

اللهم جَملنا بالإيمان وطيّبنا بروح التقوى والقرآن، اجعلنا يا رب العالمين من الطيبات في الدنيا والآخرة؛ طيّبنا بطيب الإيمان، واجعلنا عندك يا رحمن مِن مَن جَمُلت أرواحهم، وحَسُنت بالرضا عما قسمت لهم، راضين يا رب العالمين بما قسمت لنا، شاكرين لك على نعمائك، متجمّلين بتقواك، متطيّبين بذكرك، اللهم آمين.

إلى لقاءات قادمة بإذن الله نناقش فيها أمور تَهُمنا في الحياة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته